وجهة التطور :

وحدة الانسانية وتكور الكون

✡

أشرنا في بحث سابق الى « أن الاضطرابات الاجتماعية التي تهز العالم اليوم تعني في الظاهر – على حد تعبير احد البيولوجيين – ان البشرية بدورها قد بلغت اليوم السن التي تنزع فيها كل فصيلة، بضرورة بيولوجية ، الى انتظام اعضائها . . وفينا يظهر ان البشرية تقترب من دور تجمعها الخطير . »

وهذه البادرة للتجمع البشري تستقطبهــا وتذكيها وتدفع بها وجهة للتطور تهز وتتحقق في تيار كوني شامل يفعل خارج نطاق الجماعة القومية والاثنية : مظهر وحدة الانسانية وتكورهــا La Planétisation Humaine والتحسس اكثر فأكثر بوحدة السيار الذي نعيش عليه .

وليس ينكر ما كان لاكتشافات العلم وتطبيقها من اثر في توضيح هذه الوحدة الانسانية وتقويتها (تقصير مدى الاتصال المادي والفكري بين البشر وسرعته وتشابكه) ، وما كان للزيادة المضطردة في عدد سكان الكرة الارضية التي ، مهما اتسعت ، فلها حدّ وفاصل .

وقد تقوت هذه الظاهرة إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها لاسباب مباشرة نذكر منها : – من الوجهة الجغرافية ، خروج قطاعات واسعة ومأهولة من عزلتها واندماجها في تيار المدنية القائمة والتطور ، ونعني منها دول وامم الاوقيانوس الباسفيكي . – من الوجهة الاثنية ، تعرض الارض في الوقت نفسه لحركات واسعة من البشر ولمهاجرات غفيرة (تنقلات الجيوش الكاملة والكبيرة ، وتحركات الجماهير النازحة واللاجئة كالمد والجزر) . – ومن الوجهة الاقتصادية والنفسية ، اضطرار جماعات كبيرة من البشر بل ، وهو الواقع ، جماعات العالم كله للعيش مدة غير يسيرة ضمن نطاقات وأنظمة وفي قوالب معينة تجمعها منظمات وتكتلات دولية هي اوسع ما شاهده التاريخ . وتضمها وحدة من الآمال والمخاوف والمشاكل واشتراك في المصير . – ولا بد اخيراً – بالاستناد الى الاثر المعنوي العميق الذي خلفه اختراع الاسلحة الذرية – من تضامنيّة بشرية كونية ستذكيها في المستقبل الامكانيات المنفتحة امام الانسان لاستغلال هذه القوة الذرية الهائلة . .

هذا التيار الموحد للجماعات البشرية والرامي الى الانسجام في حركة تعاونها ومصيرها وهذه الوجهة للتطور الموحدة للعنصر البشري وللكون ، بات يتحسس بها – كأخوّة جامعة وفاهمة – جماعة من الناس يتزايد عددها اكثر فأكثر : جماعة الانسان التطوري او الانسان التقدمي Homo progressions وهؤلاء يتلاقون على تعارف وتفاهم وعلى تعاون عميق كامل لاول بادرة اتصال فيما بينهم ، كأنهم يتلمسون حياة تربط وتشد مصيرهم بمصير العنصر البشري وبحياة الكون . .

كمال جنبلاط

مدينة فلورنسة

بقلم الدكتور بشر فارس



في فلورنسة هذا الصيف ، ومن نعم الله ان يكون احد من الناس في فلورنسة . غريب امر تلك المدينة المترعة بالحياة الغابرة ! تأخذك اول ما تصلها ثم تستولي عليك شيئاً فشيئاً وتغذو شعورك وهي تلجم اسانك ، انت فيها مستعبد سعيد .

زرت فلورنسة من سنوات اتتبع آثارها مجتهداً ، وهذا الصيف أقمت بها متأملاً متراخياً كالذي يقضي نهاره وليله في جامع ومن حوله جلال الله منبث سائد . تطل نافذتي على الجسر العتيق ، وهو من مستطرفات المدينة ومن بواقي زمن كانت فيه فلورنسة باريس أوربة . على انه ضئيل ، دقيق ، قصير . ولكن حوانيته الضيقة والمنازل القائمة في جانبيه – كأنها معلقة مع نوافذها المتلاصقة – تنعكس في الماء ساعة الغروب ، تغتسل وتتزين فتلقى بالسحر في جو ناعم تنساب فيه غيوم بيض رقاق . ومن حول الجسر الآن انقاض واطلال . فكأن الجسر سيد الزمان الجائر .

وقد اخبرني بعضهم ان الالمان ساعة ارتدادهم في الحرب الاخيرة نسفوا جميع الجسور ثم تهيبوا عند الجسر العتيق . فسألوا اصحاب الامر اي شيء ينسفون حتى يعرقلوا سير الحلفاء : الجسر العتيق ام المنازل القائمة على ضفتي النهر . فآثر الفلورنسيون ان تخرب المنازل فتضيع اموال اصحابها الى غير رجعة وتشوه الضفتان على ان يذهب الجسر الرائع الزاخر بالحوادث الجامع للذكر . وليس هذا من باب حب القديم لوجه القدم ، ولكن لوجه الفن ولوجه الوطن .

ما اجمل هذا الشعور وما ارفعه ! انه الدليل الساطع على استقرار الثقافة في الانفس مع الاستمساك بآثار العبقرية التي انبتتها الارض المزهرة من مئات السنين . والحق اني لا اعرف مدينة من مدن العالم تضم الآيات التي تزدحم في دور فلورنسه وكنائسها وقصورها وطرقاتها . ولو اراد الايطاليون ان يبيعوا احد القصور او احدى البيع لسدودا ديون الدولة وعرفوا الرخاء من جديد . كاشفت بعضهم بهذا وانا بين المازح والجاد فنظر الي نظرة المطعون وفزع الى الصمت ، وخجلت انا .

بفضل هذا البلد اخذت اوربة منذ خمسمائة سنة تنفض عنها غبار العصور الوسطى وتدخل في العهد الجديد . ههنا استوى عصر النهضة ، وههنا كمل التصوير والنحت فلمعت النجوم وسطعت الشموس ، نحو جيوتو ، دوناتلو ، فرا انجلكو ، جوتسلى ، بوتيشللي ، تشليني ، ميكال أنجلو . كيف نشأوا ، كيف نبغوا ؟ و كيف سطع بجانبهم الادباء والشعراء واللغويون ؟ تلك هي العبرة .

ان المديسيس الذين حكموا المدينة ونظراءهم من الكبراء

ومن سبق هؤلاء واولئك كانوا تجاراً وصيارفة . ولكن المادة في ذلك العهد لم تكن على الجفـاء والافراط الذين تعانيهما الآن، ولم يكن اصحابها رفاق جهل واستخفاف وحرص . لم ترعم المادة قط انها غاية ولم يفكر اصحابها يوماً ان يغلبوهـا عـلى الروح . فتباروا في اعانة الفنانين على طبقاتهم ، ورغبوا اليهم ان يعبدوا عن شكرهم لله على نعمه بتشييد الكنائس وترويقها ، ثم عرفوا ان المال الى الفناء وان ما يصنعه الصانع الماهر باق الى مـا شاء الله ، فأقاموا تلك القصور وحشروا فيها الظرائف والطائف من تصـاوير وتماثيل ، ورفعوا ايضاً قدر العلم وشأن الشعر .

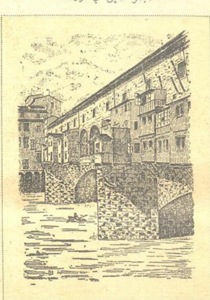
في ذلك العهد كان الفن سيد النيات والاذواق ، ولم يكن الدين سوى وسيلة من وسائل اخراجه في اجل مظهر . والحق ان فلورنسه كانت ملتقى المسيحية بالوثنية ، وهي الآن كذلك : من المسيحية ورع اهلها ولكنه ورع يحدوه الولع بالجمال عـلى الوانه من هذا ان المصور القس فيليبّولبي كان في القرن الخامس عشر يتعشق المرأة التي توحي اليه وجه العذراء وان كانت راهبة . والظريف ان اهل فلورنسه جميعهم لم يشمئزوا من ذلك ولم يصيحوا . فليس العشق سوى مظهر من مظاهر الجمـال ، واذا هو يمكن فيليبولبي من تصوير وجه للعذراء كله سماحة ونقـاوة وبراعة . فأهلاً بالعشق وشكراً له .

الجمال ذلك هو عنوان تلك المدينة الفريدة التي تدعوك بأنسها وسهولتها الى الاستمتاع بها . ومن اجل الجمـال بقي الجسر العتيق على حساب المنازل المدمرة . ومن اجله ايضاً لا يحق لاحـد ان يبني في فلورنسة داراً عـلى غير طراز « النهضة » . وهـذه دلالة جديدة على الذوق السليم والاستمساك بالماضي الرفيع . وفي هذا درس لمصالح التنظيم والبلديات التي لا تفقه شيئاً ولا تحسب حساباً ولا تهتز لروعة الآثار ولا تقيم وزناً للحسن المتسق . فقد ضاع اكثر معالم القاهرة وسطا على آثارها المتساقطة اهمـال الوزارات . واجهز على احيائها الفريدة خرق التنظيم . وهؤلاء المهندسون المتفرنجون المقلدون الذين لا يحسون ولا يتخيلون ولا يستطيعون التوليـد او الاستلهام الباطن يتعاونون على تشويه مدينة شرقية عربية اسلامية .

اما دمشق فهي اقرب المدن العربية من فلورنسه : آثار قائمة واحياء سليمة وطرقات عتيقة مع شعور السكان بعز فنهم المـاضي. ان اهل فلورنسه يعرفون هذا العز ، فمتى ينتشر في بلداننا .

القاهرة　　　　　　　　　　　　　　　　　　بشر فارس

الجسر العتيق في فلورنسة



مساهمة المرأة في المجتمع العربي

بقلم السيدة عنبرة سلام الخالدي



حديثي* اليكم هذا المساء يتناول بحثاً عاماً عن مساهمة المرأة في المجتمع العربي، وتقبل الهيئة العربية لهذه المساهمة.

فقد رأيت المؤتمرات النسوية يتتالى انعقادها بنشاط عجيب في هذا البلد الطيب فتؤمها النخبة الممتازة من نساء العالمين، الشرقي والغربي، يبحثن فيها مشاكلهن ويسوين شؤونهن فيرسمن الخطى، ويتخذن القرارات، فتساءلت: الى اي مدى يستقبل المجتمع العربي هذا الامر؟ والى اي حد تتسع العقلية العربية للاخذ بهذه الخطوات وهضم هذه القرارات؟ فوصلت الى نتيجة احاول بسطها امامكم الآن وهي تبين ان الهيئة الاجتماعية العربية، والعقلية العربية قد تقبلتا، منذ الازمان البعيدة، مساهمة المرأة مع الرجل مساهمة فعالة في نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. وان نهضتها الحديثة وان اختلفت مسالكها باختلاف العصر، وتشعبت سبلها بتشعب حاجاته ومطالبه، تقوم على تقليد ثابت يرجع الى بدء الحضارة العربية، اذ ان المرأة قد اقبلت على الاشتراك في تكوين هذه الحضارة اقبالاً لم تنقطع اسبابه، والفت في سلسلة تاريخ الامة حلقات وثيقة العرى، قوية المبنى فلم ينكر عليها ذلك منكر ولا استهجن نهضتها مستهجن.

ثم انني اسعى الى اظهار خطأ الزعم بان تاريخ المرأة العربية لم يكن الا التاريخ الذي يصورها فيه بعض كتاب الفرنجة بل بعض كتاب الشرق لا مرأة مشلولة القوى، محرومة الحقوق، عديمة الثقافة تعيش في حياة الحريم عيشة ترف ورخاء، او عيشة تافهة لا معنى لها ولا غاية وراءها، فان حياة الحريم هذه لا تصور الا ناحية واحدة من نواحي حياة المرأة العربية، كما ان حياة المقاصف والملاهي لا تمثل الا صورة واحدة من صور حياة المرأة في الغرب.

فاسمحوا لي اذن ان اعود بكم الى الوراء قليلاً — اي الى القرن السابع الميلادي — ولن اسرد عليكم تاريخاً طويلاً قد يدخل الملل على نفوسكم، بل سأجوب ان اعطيكم لوحات مشرقات رائعات عن مساهمة المرأة في المجتمع العربي، وقد كان بوسعي ان افعل ذلك دون ذكر اسماء او اثبات تواريخ، ولكنني اريد ان اضعها امامكم حقيقة جلية لا صوراً غامضة، ولذلك سأنتقي من هنا وهناك اسماء نساء برزن في حلبة المساهمة بتكوين المجتمع العربي، وهن لسن كل من ساهم، بل انهن الجزء اليسير من تاريخ مساهمة المرأة. وقد احببت ان آتي على ذكرهن كنموذج لمئات من مثيلاتهن واعتقد بأنني في ذلك لا اكون قد بعدت عن الغاية الاساسية لهذه المؤتمرات وهذه الاجتماعات.

بدأت النهضة العربية بالرسالة الروحية التي حملها النبي محمد بن عبد الله الى قومه في القرن السابع والعرب في بداوة شاملة وجهل عميم فكانت رسالته هزة عنيفة ايقظت مشاعرهم، ونبهت حواسهم، وسنت لهم شريعة اولت المرأة، حقوقاً ثابتة في التملك والشخصية القانونية والعلم، وصانت لها حقوقها في الزواج فاباحت لها ان تشترط في عقده ما تشاء وخلقت الامة خلقاً جديداً. فكان من الطبيعي ان تتنبه المرأة كما تنبه الرجل، وان تثور فيها العزة والكرامة كما ثارت فيه ا وانها لترى الرجل يجمع جموعه ويؤلف احزابه واذا بالرجال يفدون افواجاً يبايعون هذا الرسول الكريم، فلم تقف هي من دونهم لا تبدي حراكاً، ولا تعهن عن وجودها؟ ان النساء ليذهبن اليه الواحدة تلو الاخرى، انهن يسألنه لما يلقيه عليهن ايضاحاً، ولكن هذا لا يرضي عزة فيهن، فاذا بهن يتنادين الى التكتل ويؤلفن وفداً منهن يذهب اليه ويبايعه على شروط معلومة، وتسمى «بيعة النساء». وانها لسابقة فريدة في سجل المرأة العربية، اذ شاركت الرجال في هذا الحدث الاجتماعي الخطير. وقد تقبل المجتمع العربي هذه البادرة وقبلتها عقلية العربي، ولم يسمع لذلك صوت احتجاج او صرخة استنكار ولا قول قائل ما دخل النساء بالسياسة والمبايعة؟ وهكذا سنت المرأة لنفسها باشتراكها العملي في سياسة الحكم سنة منذ اول تأسيسه مكنتها من ان تساهم فيما بعد مساهمة قيمة في الحياة العربية في مختلف نواحيها.

وهذا الحدث التاريخي العظيم تلاه بعد سنوات قليلة حدث لم يكن اقل منه شأناً، ذلك ان السيده عائشة التي كانت، بشهادة معاصريها، تتمتع بقسط وفير من الثقافة، اذ يقول فيها عروة احد

* نص المحاضرة القيمة التي ألقتها الاديبة السيدة عنبرة سلام الخالدي في مؤتمر الاتحاد النسائي الذي انعقد مؤخراً في بيروت في بناية اليونسكو.

الثقات ! « ما جالست احداً قط اعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا اروى للشعر ولا اعلم بفريضة ولا بطب من عائشة » .

هذه السيدة التي كانت حجة في الحديث وهو اصل هام من اصول التشريع اضطلعت بدور سياسي رئيسي فقادت بنفسها حملة عسكرية مؤيدة خليفة على آخر وكان لعملها اثر خطير في تغيير مجرى الحوادث إبان ذلك العصر . فخطأها بعض، وشايعها آخرون ولكن احداً لم يقل ما شأن المرأة بالسياسة . ولا انتقص منتقص حقها في ابداء رأيها وتنفيذ ارادتها .

ولكن السيدة عائشة لم تنفرد دون سواها من النساء بالحركات السياسية العسكرية بل كانت في جيشها زينب بنت العوّام ، كما كانت في الطرف الآخر هند بنت زيد التي شهدت وقائع علي بن ابي طالب وكانت تحرّض القوم على اتباع خطته ومثلها عكرشة بنت رواحة وسلمى الملقبة بقرّة العين لجمال طلعتها وقد جيشت جيشاً وقادته بنفسها .

ثم توالت الايام وانتقل الملك العربي الى دمشق فبغداد فالقاهرة . فلم تنقطع للمرأة جهود ان في السياسة او في الاجتماعيات ، وظلت تفد على الخلفاء منتقدة طوراً ، زاجرة احياناً ، معاتبة اخرى وقد تفد منشدة محدثة ، والمجتمع يتقبل منها كل ذلك . على أن الباحث يرى أن القسم الاعظم من جهدها بدأ ينصرف الى العلم وخاصة منه علم الحديث والتفسير ، فصارت تعقد المجالس العلمية تفسر فيها الكتاب وتشرح الحديث وتتبوأ مكانها من نفوس ذوي السلطان حتى أن المحدثة الصحابية ام الدرداء وفدت على بيت المقدس تعقد حلقات التدريس فيحضرها الخليفة سليمان بن عبد الملك بنفسه تحت قبة الصخرة فاذا حانت الصلاة قام الخليفة من مكانه وقدّم اليها يده تتوكأ عليها الى ان يصل بها الى المسجد الاقصى .

ونقدر ان نثبت ان اشتراك المرأة في علم الحديث وتفوقها في هذه الناحية بقي بارزاً بروزاً مستمراً عشرة قرون متوالية لم ينقطع لها فيها صوت ولا اغلق من دونها باب ، وكتب التاريخ تعجّ بمئات منهن يأخذ عنهنّ العلماء ويروون لهن فيمنحنهم الاجازات لا يرون في ذلك غضاضة ، ولا يحسبونه منهن ادعاء حتى ان الامام الشافعي المشرع العظيم ، وهو احد ائمة الاسلام الاربعة اخذ عن السيدة نفيسة وضمته حلقتها في القاهرة ، بل انها قامت بالصلاة عليه بعد موته ، وهذه الصلاة هي من المراسيم الدينية ، التي استقل بامرها الرجال .

وبلغت شهدة الدينورية بين علماء القرن الثاني عشر منزلة في اسناد الحديث لم يبلغها احد حتى لقبت بمسندة العراق ولها رسائل عديدة في هذا العلم .

بل ان ابن خلكان المؤرخ الشهير – وهو من رجال القرن الثالث عشر – ليدرس على ام المؤيد فتجيزه . وكانت عائشة الحنبلية من اهل القرن الرابع عشر احدى استاذات المؤرخ ابن حجز العسقلاني في الحديث ومن اللواتي أجزنه فيه ، وقد كرس مجلداً خاصاً من مؤلفه الضخم لعالمات عصره فقط ، وتميز قسم كبير منهن في هذا العلم . كما افرد ابن المقري فصلاً خاصاً بنساء الاندلس اللواتي كانت البلاغة فيهن طبيعة ثانية حسب قوله .

ويذكر السنحاوي مؤرخ القرن الخامس عشر اسماء عشرات العالمات والمحدثات في ايامه ، وقد اخذ هو نفسه عن الكثيرات منهن كما تتلمذ عليهن ابن الاثير والحافظ الذهبي مؤرخ الشام وغيره وغيره كثيرون .

وبلغ من تعظيم شأنهن وعلو مكانتهن ان يروي لنا ابن العماد الحنبلي في شذراته عن ام الخير وتخصصها في البخاري وعلم الحديث ويقول في رثائها : « ان اهل الارض نزلوا درجة في العلم بموتها » .

هذه امثلة قليلة من مساهمتهن في علم الحديث وروايته ، ومعلوم ان هذا العلم هو أحد اركان التشريع الاسلامي ، وهو في المرتبة العليا بين مراتب العلوم الدينية ، وقد ساهمت فيه المرأة من حيث روايته وتصنيفه وتدريسه حتى بات من المألوف في المصادر العربية ان ترد هذه الاحاديث الى كبريات العالمات كما ترد الى اكابر العلماء دون ان تخامر العقل العربي اية خلجة من التردد او الاستغراب .

وننتقل الآن الى مجال آخر ساهمت فيه المراة العربية اجل مساهمة ، ذلك هو التصوف . وهو الفلسفة الروحية التي هي مزيج من الفلسفة والعقائد الدينية ، وهي بمجموعها تربية ترمي الى تنقية الروح والنفس ، والتقرب الى الله ، والتقشف في الحياة ، واعتبار الجنس الانساني اسرة كبرى ، بل مظهراً من مظاهر عظمة الخالق . فهذه التربية التي نشأت في القرن الثامن الميلادي بتأثير الفلسفة على الفكر العربي وكرد فعل لحياة الترف اشتركت فيها المراة اشتراكاً بارزاً ملموساً ، ولعل الصفات الخلقية الرفيعة التي تستوجبها هذه التربية تتلاءم ونفسية المراة اعظم تلاؤم فنبغت منذ بدء الحركة سيدات مثل معاذة العدوية وآمنة الرملية ورابعة البصرية المتصوفة التي خصتها المستشرقة الانكليزية الشهيرة مرغريت سميث بكتاب قيم شرحت فيه نظريات رابعة وحياتها وفلسفتها .. وهي بمثابة القطب الكبير في هذه الحركة الروحية .

على ان حركة التصوف لم تقتصر على انضمام السيدات اليها بكثرة ملحوظة في مختلف العصور بل اخذت تتمركز في مؤسسات عرفت بالزوايا والخانقات ، وهي دور للصوفية يتعبدون فيها ويتقربون الى الله ويسمون في عبادته الى اوج علي ، فاصبح للنساء دور صوفية خاصة ، بل اصبحت هذه الدور تخدم اغراضاً مختلفة فتجمع بعضها البنات العوانس ، وتجمع اخرى المطلقات او الارامل وتربيهن تربية روحية مرهفة ، وتعنى بهن وبتثقيفهن ، وقد اشترك المحسنون والمحسنات بانشاء هذه الدور وتمهدها والانفاق عليها منذ القرن الثامن الميلادي الى العصور المتأخرة .

ولكن المساهمة الثقافية لم تقتصر على الحديث والتصوف ولو انهن ابدعن في هذين الميدانين ، بل تعدته الى علم الفقه وعلوم اللغة وعالم الشعر والادب والاحسان والطب والتمريض .

ولما اصبح الفقه علماً واخذوا يضعونه على اسس منطقية اخذ النساء يتخصصن فيه واصبحن يجلسن في الحلقات ويتقبلن اسئلة الحائرين والطلاب في المسائل الفقهية فتساهم المرأة في الافتاء وفي مساجلة العلماء . ومن اللطيف ان نرى مؤلفاً مثل القلقشندي صاحب صبح الاعشى يثير في القرن الخامس عشر مسألة الثقافة النسوية وتقبل المجتمع العربي لمساهمة المرأة فيها فيقول : « لم يرد ان احداً من المتقدمين انكر على النساء هذا الحق . » وفي هذا دليل على ان مساهمتهن في الثقافة كانت جزءاً من الحياة الفكرية العربية العامة .

وبلغ من انكبابهن على تحصيل العلوم والتدقيق فيها ان يروي لنا كاتب المأمون انه قرأ للسيدة لم جعفر بن سعيد توقيعات في حواشي الكتب واعقابها فوجدها اجود اختصاراً واجمع للمعاني من الاصل . بل ان زبيدة المصلحة العمرانية لتبدي ملاحظاتها اللغوية على كتابة الولاة والحكام وتدعوهم الى الدقة في كتاباتهم .

ومن المظاهر البارزة في تاريخ الثقافة العربية مشاركة النساء للرجال بطلب العلم ، وازدحام الطلاب على حلقات تدريس النساء . فيرى الامام السخاوي — في كتابه الضوء اللامع وهو من رجال القرن الخامس عشر — يذكر اسماء عديدة للسيدات شاركن الرجال بطلب العلم فيقول مثلاً : « ان السيدة ملك سمعت معنا على بعض مشايخنا في القاهرة وسمعنا منها بدمشق » .

وقد يزدحم الطلاب على هذه الحلقات فيأتونها من جميع الاقطار ، حتى كانت حلقة تدريس زينب الدمشقية في القرن الخامس عشر لا تقل عن خمسين طالباً يتهافتون على الاستفادة منها والنهل من فيض علمها .

اما الشريفة فاطمة بنت المهدي وهي من اكابر جيلها في القرن الخامس عشر وزوجة عالم من علمائه فقد كانت اكثر تواضعاً اذ كان زوجها يرجع اليها فيما يشكل عليه من المسائل فاذا ضايقه الطلاب في بحث دخل عليها واستشارها فأفادته الصواب واذا به يخرج اليهم بالجواب الصحيح فيتهامسون فيما بينهم ويكرون به قائلين : « والله ليس هذا منك بل من وراء الستار » .

وتميزت عائشة الباعونية من نساء القرن السادس عشر التي درست في الشام ومصر واجاز لها العلماء بالافتاء وتدريس العلوم ، ولها عدد من المؤلفات في الادب والفقه وديوان شعر وكانت تكاتب الادباء والحكام وتُستفتى في جميع المشاكل اللغوية والفقهية والادارية وتجتمع بالسلاطين فيصغون اليها والى نصائحها .

ونرى من هذا ان المرأة كانت تجلس جنباً الى جنب مع الرجل في التعليم العالي طالبة ومعلمة ، كما كانت تجلس معه في الدور الابتدائي من التعليم في المكاتب . .

اما المجال الادبي ، واما الميدان الشعري فان المقام ليضيق عن ذكر المئات بل الآلاف من المتميزات في الشعر خلال العصور وفي مختلف البلدان على ضروبه من حماسة ووصف ورثاء وغزل وموشح كما ان الادب العربي مليء بالمراسلات والمساجلات بين الاديبات والادباء مما كان جزءاً من الحياة الادبية السائدة في مختلف الازمنة والامكنة .

بل ان مصادرنا العربية تشير في كثير من المرات الى النوادي الادبية التي كانت مراكز ادبية سامية ، يجتمع فيها كبار الادباء والشعراء والمغنين من سيدات وسادة ويسمع فيها نقاش الاستحسان والانتقاد والتشجيع والتثبيط ، ولنسمها بلغة اليوم صالونات . وقد تميز منها مجلس سكينة في الحجاز في العصر الاول اي القرن السابع الميلادي ومجلس علية بنت المهدي في القرن الثامن ، ومجلس الفضل في بغداد في القرن التاسع ومجلس نزهون في غرناطة ومجلس ولادة الاندلسية في القرن الحادي عشر وقد تركت لنا مجالسهن هذه تراثاً قيماً في الادب الراقي والفن الرفيع وبلغ من دالتهن على اهل عصرهن ان احداهن لترسل الى شاعر في بلد بعيد تدعوه اليها فيلبي مسرعاً ، لا يمتطي اليها طائرة ولا قطاراً بل يركب ناقته اياماً وليالي حتى يحظى بهذا المجلس الرائق الانيق . وفي ذلك يقول عمر بن ابي ربيعة :

فاقبلت اهوي مثل ما قال صاحبي   لموعده أُزجي قعوداً موقعا

— البقية في صفحة ٥٨ —

قصة

الحسناء المزهوة بحسنها وجمالها

الكاتب البرتغالي جوزيه رودريجس ميجز
José Rodrigues Miguels
مترجمة بقلم مبارك ابراهيم

☆

هبت على الساحل عاصفة هوجاء ، وكان المحيط الاطلسي يكتسح الشواطىء المهجورة . ثم يبتلع قوارب الصيد . وتلقي امواجه على الساحل بالمراكب التي تحطمت ثم غرقت .

وكانت العاصفة الهوجاء تقتلع الاشجار ثم تلقي بها الى الارض وكذلك تلقي بالبيوت والاكواخ . وكان ضحاياها من الناس كثيرين .

وكانت الجسور المصنوعة من الحديد تتهاوى وكأنها اعواد من قصب .

وكانت قطارات السكك الحديدية تنكفىء منقلبة رأساً على عقب . وكانت تبدو لناظرها كأنها حيات تتلوى .

وكانت اسلاك خطوط التلغراف وهي تتقصف كأنها اسواط تلهب ظهور الهواء . ثم تصفر صفيراً منغماً .

وكانت السيارات تبدو – وهي منتشرة في الحقول او منقلبة فوق الخنادق – وكأن كل واحدة منها « الفزاعة » التي تقوم وسط الحقول لتخيف الطير وهي تسطو على الثمر .

وكان جهاز الراديو ينطق بكلماته في اضطراب وقلق . وهو لا يكاد يبين ، فيزيد في قلق الناس واضطرابهم . وقد دقت الساعة تعلن السادسة ، والوقت ليل . وقد امتلأت الحانات بروادها وبدت الانوار خافتة ، وفترت اصوات الموسيقى .

فاذا نظرت الى السماء رأيت المطر كأنه ستار محكم النسج قد تدلى من السماء . فأحاط بأركان المستشفى ثم نزل على الارض . فاستقبلته الريح فنثرته فانتثر عن الشمال وعن اليمين .

واذا حققت النظر الى الارض رأيت ارض الشارع . وقد بدت كأنها نهر من زيت قاتم اللون جرى وقد خلت طريقه من الموانع والعوائق .

واذا القيت السمع سمعت الواح النوافذ الزجاجية وهي تصطك اصطكاك الركبتين عند من افزعه الهول . وبات الخوف مل ء ضلوعه .

واذا اردت وصفاً شاملاً فقل ان المدينة بدت وكأن اصاب عقلها الجنون والخبل .

ثم طرق سمعي وسط هذه الضجة الكبرى صوت انسان يصرخ .

فنظرت – بحكم غريزة التطلع – الى نوافذ المستشفى فألفيتها مقفلة يشع منها النور وتنبىء عن هدوء المكان وطمأنينة نزلائه . وقد شمخ المستشفى بانفه مزهواً امام العاصفة . فقلت ليس هنا مصدر الصوت . ثم ارهفت سمعي فعرفت انه آت من اسفل . ثم ناجيت نفسي قائلا : اهكذا قدر للناس ان يشقوا وان لا يذوقوا طعم الهناء .

ثم عدت ادراجي ودققت التلفون لانبىء حاجب المستشفى نبأ الصراخ فقال : اعرف ذلك . واعرف انه في الطبقة الدنيا من المستشفى . فلم اجد بدأ من ان اختم الحديث وابدأ هز كتفي كأن الامر لا يعنيني . ولكن سرعان ما طرق سمعي صوت بوق عربة البوليس – وقد بدت كأنها جان يتحدى العاصفة – وفيها فريق من فرقة الباحثين عن المجرمين القتلة . فعدوت وراءهم . ثم انقطع الصراخ . وساد المكان صمت كصمت اصحاب القبور . ثم مُنعت من الدنو . فخرجت الى الشارع فالفيت المحفة التي تنقل المرضى واقفة تنتظر . والفيت الابواب قد فتحت . ثم رأيت قليلاً من النظارة وقد وقفوا يتهامسون . ثم نظرت من خلال النافذة التي تهبط قليلاً عن مستوى ارض الشارع . فرأيت جسم امرأة ملقى على بساط ازرق . وقد بدت قدماها وهما تتوهجان وسط نور الحجرة الذي يكاد يخطف الابصار . ثم صعد طبيب الاسعاف ورجاله وهم يحملون رجلاً . جاؤوا به الى عربتهم وترك فيها . فدنوت منه فألفيته شاباً نحيلاً هزيلاً . وقد غرقت رأسه في الدم . فقلت اكبر الظن انه قد مات ! والا لبادروا بأسعافه . ثم نظرت الى ذراعه فألفيته ادكن اللون معروق العظام .

ثم اذا بهذا الميت يرفع يده ويشير بها كأنه يتحدث الى واحد من الناس شارحاً ومفسراً . ثم اذا بيده تنحط مرة اخرى . وهي لا حراك بها . فقلت لنفسي : ترى من يكون هذا الرجل ؟ وما الذي نزل به ؟ ولكن لات حين جواب !

ثم نظرت خلال النافذة فلم ار غير قدمي امرأة . ثم تجمع الناس وحفوا بالمكان وهم يجثون . وظلوا ينظرون الى جسم المرأة .

ثم رأيتني – وقد بللني المطر – اتخذ طريقي الى حيث ترقد المرأة وانا اقول لمن يلقاني : معذرة يا سيدي اني جار وصديق وقد سمعت كل شيء . . . ثم اذا الحجرات كلها يضيئها نور ساطع .

وقد غزاها القوم فاكتظت وبدت كأنها مكان حفلة تجريبية من حفلات « السيما » . وقد ساد الصمت وعم السكون ! وبدا رجل صليع الرأس وهو يخطر في مباذله وكأنه ابوها ! واكد الحاجب هذا الظن وقال : الا تعرفه ؟ ثم اضاف الى ذلك قوله : كم علموها فبالغوا في تعليمها ! وكم ثقفوها فأفرطوا في تثقيفها ! وقد كانت حسناء مزهوة بجمالها . وكانت :

(كأنها من حسنها درة	اخرجها اليم الى الساحل
كأن في فيها وفي طرفها	سواحرا أقبلن من بابل)

وهي الآن ترقد فوق هذا البساط الازرق . وفوق جبينها بقعة من الدم . وبدت لساقيها الجميلتين روعة في ضوء السُرُج الوهاجة . وكأنها تحفتان معروضتان في ساحة من ساحات عرض التحف .

ثم اذا بجثتها تبدو وقد حسر عنها الغطاء فصحت — وانا اكاد اختنق — : واهاً على المسكينة وواهاً على كهربائها !

ان تلك الكهرباء التي ملأت الدنيا دوياً في (ميامي) و (برمودا) و (برودواي) قد غاضت وماتت . . ولو كانت صاحبة تلك الكهرباء اليوم حية لاحتلت صورتها الصفحة الاولى من مجلة « المرأة » و « الاخبار » .

ولكن الناظر الى تينك الساقين اليوم يولي منهما فراراً ويُملأ منهما رعباً . وسوف تنسى الاندية الليلية صاحبة الساقين . وسوف لا يتوقف الفلك عن الدوران . وسوف يجد الناس منهما الف بديل وبديل . وسوف ينساهما اصحاب النظرة العاشقة .

وسوف ترحب بتينك الساقين وتحسن اللقاء جماعات من الديدان تزحف في هدوء وصمت تشبع منهما نهمها وتروي ظمأها . دون ان تدفع حلواناً للسقاة والخدم .

وبدا القلق على وجوه رجال الشرطة . وبدأوا يصورون صوراً اخرى .

وجاء بعض الناس فحمل الصغير الى بيت من بيوت الجيران ويا لشقاء هذا الطفل ! انه رأى كل شيء . ولذلك فهو الآن يصرخ صرخات هستيرية . وقد ملىء رعباً ! ثم رأيت الزوج ملقى في عربة الاسعاف . فهل كان حياً ؟ لقد القوا به ثم تركوه . وكانت رأسه يغمرها الدم .

ثم اخذ رجال الشرطة يسألون الام ان تقص قصة فتاتها . وهي لفرط ذهولها لا تحير جواباً .

وقد علم رجال الشرطة ان المرأة القتيل لم تكن مقيمة في بيت زوجها . وكانا مفترقين منذ شهور .

وقد مات اهل الزوج يوم كان صبياً . . تركوا له مالاً ونشباً فبدد المال وباع العقار . فلما التقى بتلك المرأة كان فقيراً معدماً . وكان متعطلاً ، وكان بلا مأوى .

وان تعجب فعجب كيف تفتن امرأة في مثل ذلك الحسن برجل في مثل هذا الفقر . وكان هذا الزواج يتعلل بالمرض . وكان يرجو ان تعود زوجته الى معاشرته . ولكنه كان شحاذاً تقتله الغيرة . فكان يأبى عليها ان تعمل ، وكان عليها ان تعوله !

وكان الرقص هوايتها المحببة منذ نعومة اظفارها . ولم يدخر اهلها وسعاً في تعليمها وتثقيفها . وكانوا يأبون عليها ان تعمل عملاً من اعمال الخدمة في البيت حرصاً على انامِلها البضة .

وجاءها ذات يوم يرجوها ان تعود فأبت وهي تقول : ان لي طريقاً في الحياة قد خططته لنفسي ولمستقبلي . وكانت المسكينة لم تتخط الثانية والعشرين من عمرها . وكانت تدفع كراء البيت . كما كانت تقوم بسداد النفقات كلها . ولكن اين المفر من اثر تلك الغيرة القاتلة !

وكانت المرأة قد تعاقدت منذ شهرين على الذهاب الى « برمودا » فذهبت . وكان هذا بدء حياتها العملية . فنالها التغير والتبديل واصبحت امرأة مرحة ، مشرقة الجوانب .

وقد عادت بالأمس من رحلتها وكان المتعاقد معها يلاحقها ويلح عليها ان لا تني عن الدرس . وكان الامل يملؤها . وكانت تتوقع تعاقداً جديداً . ولكن قضى القضاء ان لا يراها الناس بين الاضواء المتألقة . بل يرونها في بقعة من الارض مظلمة .

اما حقائبها فملقاة في ذلك الركن . وفيها من الاثواب الغالية الف ثوب وثوب . ثم تساءل رجال الشرطة : كيف حدث القتل ؟ لقد دعاها وكيل اعمالها الى العشاء في ظاهر المدينة . واصرت امها على ان تصحبها وقالت لها . انك في حاجة الى الترويح عن نفسك .

وهذا رجل فيه بشاشة . وفيه ظرف وانس ، وهو شديد العناية بك .

وظلتا تتحاوران في هذا ساعات . وكانت الشابة تسائل نفسها : اتقدم على الذهاب ام تحجم ؟ ثم فضلت البقاء . وذلك لكي تلقى منيتها .

وقد امتنعت عن صحبة وكيل اعمالها لانها لا تريد ان يراها الناس في صحبة رجل من اليهود . وكانت ترى في ذلك سبة وعاراً .

وجاء الرجل ليصحبها . وكان اسمه (جولدشتين) فتعللت برداءة الطقس وعصف الرياح . فعاد الرجل ادراجه مستقلاً عربة

وهو يقول لها : لا تقلقي يا فتاتي . واحذري الهدد . وارجو ان تلبي دعوتي قريباً .

وما ان فارقها حتى قامت فارتدت فستاناً جميلاً وانتعلت نعالاً مذهبة . وجاء زوجها ليراها . وكان من عادتهما ان يتلاقيا بين حين وحين ولو انها كانت تتحاشاه ما استطاعت .

وكان اذا جاء قدمت له العشاء . وأبدت له الاسف على ما وصل اليه ذلك لانه لم يكن امرأ سوء .

وفي تلك الليلة جاء هو وهم يتعشون فطلبوا اليه ان يشاركهم العشاء فقبل . وكان هادئاً غير بادي القلق . فتناولوا الشطائر وشربوا القهوة في المطبخ .

ثم بدأ الزوج يعيد قصته القديمة ويسأل زوجته العودة الى العيش معه . وقال انه قد لقي عملاً (وهذا كذب) فعليها ان تترك الرقص وان تهجر النوادي الليلية . وان تنسى صحبة اخوان السوء .

ثم ذهب واياها الى حجرة قريبة . وفجأها بقوله : وكذلك انت لا تريدين العودة الي ؟ فابتسمت وقالت : ارجو ان نبقى صديقين من بعيد ولنأخذ في حديث غير هذا الحديث . فأمسك بغدارته وقال : اذا كان هذا هو ما عقدت عليه العزم فأني قاتلك .

فظن أهلها انه يعبث ويمزح ! وما ان فتحت الزوجة فاها حتى انطلقت رصاصة فأصابت ما بين عينيها . وكانت طلقة واحدة . وكانت طلقة قاتلة . فأسرع اهلها فغطوا وجهها بقطعة من الخيش . وان تعجب فعجب لتركهم الساقين الفاتنتين مكشوفتين . . .

وفي حركة آلية رفعت المسكينة يديها الى وجهها كأنها لا تريد ان ترى الموت جهرة ثم سقطت وقد فارقتها الحياة .

وطفق هو يدور حول البيت كالمجنون يكلم نفسه والغدارة في يده . وبدا عليه الذهول .

وبدأت الام والصغير يصرخان . وقضي الامر كله في ثوان .

ثم صوب الزوج الغدارة الى رأسه فاخترقت المخ ، ثم خرجت فاستقرت في اطار الباب .

ولقد كان الزوج مجنوناً . وكان يعالجه الطبيب . وكان هذا نوع الجنون الذى يشكو منه .

وكان الطبيب يحذر القوم منه . ولكن القوم كانوا لا يصدقون للطبيب قولاً . ولو عقلوا لأبلغوا رجال الشرطة ، ولكانت الفتاة قد نجت . ولكنهم اخطأوا . واصاب القدر .

ولقد حدث مرة يوم ان كان الزوج والزوجة على وفاق ان دخل حجرة النوم واغلق الباب . ثم سمعت الزوجة صوت طلقة فجرت اليه فألفته يضحك . والغدارة في يده وقال لها : لقد علمت انك سوف تجيئين مسرعة . وكان في تلك المرة قد صوب الرصاص الى الوسادة . وقد كان دائماً يتحدث عن قتله لنفسه ولكنه يبدو انه لم تشأ ان يفارق الدنيا وحيداً فكان في ذلك انانياً .

ثم دق جرس التلفون : ان المستشفى يعلن وفاة الرجل ويقول : ان الرجل قد مات دون ان ينطق بكلمة واحدة .

وذهب واحد من رجال الشرطة الى حيث يقيم فالفى غدارتين اخريين وألفاهما محشوتين . ونظر فرأى مذكرتين احداهما لاخته يقول فيها : لا بد مما ليس منه بد ! والاخرى لرجال الشرطة يقول لهم فيها : أعتذر عن ازعاجكم ايها السادة !

وفي هاتين المذكرتين ما يشرح اسباب الحادثة شرحاً كاملاً .

(وبعد) فقد تغيرت معالم الرؤيا وأمسى مكان المليحة خالياً . تلك المليحة المزهوة بحسنها وجمالها ، المختالة في اثوابها وحليها الفخورة بحاضرها ومستقبلها .

وباتت تلك المليحة مسجاة . وقد امتدت فوق بساط وكأنها ترقص وهي راقدة . وكأنها تنظر الى اعقاب نعالها المذهبة . وكأنها تسترجع ذكرى التضحيات . تضحيات اهلها الذين شقوا لتسعد . وبكوا لتضحك . وقضوا حياتهم في المساكن الرخيصة . يحترفون كل حرفة وان حقرت ، فقد عملوا وقادين للفحم حيناً . وبوابين في البيوت احياناً ، وكنت تراهم يحملون مفاتيح الشقق الخالية ويصغون الى شكاوى السكان ومطالبهم ، ويصلحون ما فسد من الميازيب والصنابير .

وهذه فتاتهم التي لقوا في سبيلها ما لقوا . وأنفقوا في سبيلها ما انفقوا . كانت كأن قلبها قد من حجر . وكان همها ان تنظر دائماً الى اعقاب نعالها المذهبة . وكانت مفتونة بجمالها المجلوب . وكانت تتطلع الى المستقبل مستبشرة . وكأنها قد اتخذت عند الزمان عهداً .

وها هي اليوم في مكانها ذاك . وقد طوي البساط وجفت الاقداح . وها نحن نرى رجال الشرطة وقد استراحوا الى نتيجة بحثهم ، واهتدوا الى مفتاح القضية . وعرفوا سر الكارثة .

وها هم رجال الصحف وقد طووا اوراقهم وتنفسوا الصعداء .

وها هو الوالد يخرج . يملؤه الذعر والفزع ويكاد الرعب يقتله .

وها هو البواب يؤدي عمله كما كان يؤديه منذ جيء به الى هذا البيت ، وهو يردد قول القائل : من مات فات . وكل ما هو آت آت . . .

القاهرة — مبارك ابراهيم

ليو ياه فان

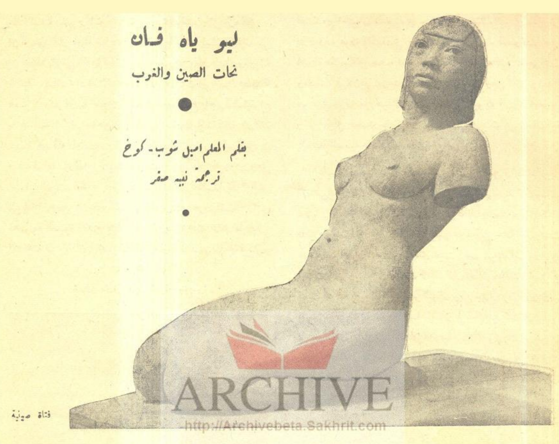
نحات الصين والغرب

●

بقلم المعلم اميل شوب - كوخ

ترجمة نبيه صفر

●



فتاة صينية

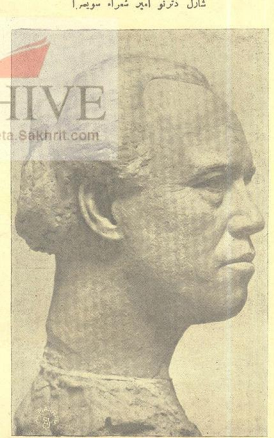
يبدو ليوياه‌فان، كواحد من اولئك الاشخاص الذين وهبتهم السماء اقصى درجات الذاتية . الا ينتمي الى احدى تلك السلالات التاريخية التي تمثل ارثاً فنياً من ارفع ما ورثه العالم؟ يولد ابناء بمملكة السماء جميعهم فنانين يحبون الفنون الحرة والتجارة والسلم وهم الورثة الامثلون لسنن التجميل . ان نحاتهم هو تجميلي ولكن فخامة تجميله تحميه من المعنى القارص الذي يكتنه هذا النعت . لم يكن على الطفل ليوياه‌فان، الذي كان يرى النور في العشرين من كانون الاول سنة ١٩١٠ في مدينة شانغ - سو، الا ان يختار ما يشاء في مضمار النحت . كان الكثيرون يصبون البرونز اسماكاً عجيبة فاغرة فاها لاقتبال ضمة من الازهار ويعالج آخرون العاج والجزع ويلون غيرهم على النار باللون الذهبي التماثيل الخشبية التي تنحتها ضربات مداهم الرهيفة، الحازمة . وكان هناك ايضاً هان سوكه برخامه الوردي ولوك فانتو برخامه الاخضر الشفاف وكانت مسوخ هائلة تتكون من الخزف وامبراطورات يحدقن الى الغيوم ومهاجرون يقلون في عرباتهم الدفعية شخصيات غريبة الشكل . رب تمثال صغير مذهب اللون اوحى الينا، في ظل علبة ثمينة، بمثل هيكل بوذا او سيدة كبيرة، نصف عارية، يلمع نهداها في الشمس كالليمون الطري او ازهار جبارة وطيور متعددة الالوان منتشرة على بسط جنائن الصين او دمى مغمورة بالطلاء . اللامع مهملة في الزوايا تمثل ببغاوات ولقالق وكواسر شيطانية مجنحة كالخفافيش . هذا هو العالم العجيب، عالم الشعر الحي والفرح الملون، الذي شاء ليوياه‌فان ان يضحي به لكي يأتي فيقيم كنحات في غربنا العابر . تحتوي الطبيعة على جميع الاذواق ولذلك يجب علينا احترام بداهة نحات مملكة السماء، لانها صادقة، ومحاولة فهم ليوياه‌فان بدون ان نقلق لآماله وافراحه وتأسفاته .

نكتشف في ليوياه فان فناناً غريباً من الطراز الاول، لم يبق الشرق في نظره سوى اسطورة، ولا يدين فنه بشيء للجو الحار، الالهي، الذي سعدت به طفولته وبدأ فيه تكوين شخصيته الفنية،

هوذا امامنا رسم بريشته . لا شيء ينبئنا بالفنان مثل اثره الفني . ان الرسم الذي نصفه هنا يمثل بلباقة عرياً جالساً تدلنا اتقانيته على ان تحقيقه شرقي النزعة ، لان الرسام قد رسمه بالحبر الصيني وبالريشة الدقيقة غير انه ، اذ استثنينا هذه الميزة ، لا يمت الى الصين بصلة انما هو تمرين مفيد يمارسه النحات الباحث عن موضوع والمحاول استخراج ما يستطيع استخراجه من مثال ظريف. هوذا ايضاً تمثال عار لفتاة صينية نجد فيه الانسجام واللطف الغربيين المرغوب فيهما اليوم في فرنسا اتباعاً لبورديل ولا يستبد مايول وكرد فعل على رودين وعلى حاذقي النحت الجامد . مـاذا نستطيع ان نطلب اكثر ؟ اليس لليوياه فان الحق بان يتبع شعوره الخاص ؟ . هوذا تمثـال رئيس الجمهورية الصينية القديم بنظارتيه وشاربيه ولحيته الامبراطورية . اقد نحته ليو ياه فان في محجر ايقونة برونزية كما تبدو الملكة فيكتوريا

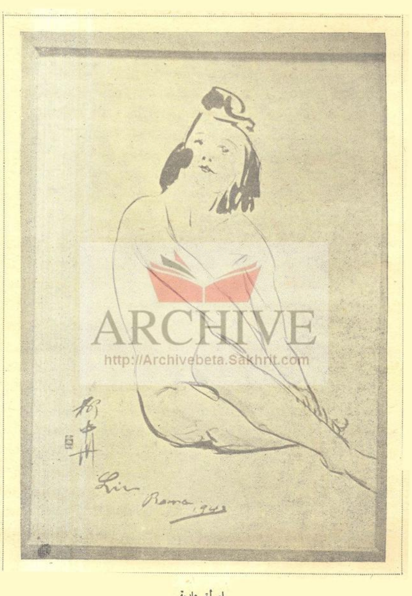
•

شارل دترنو امير شعراء سويسرا



الفتية على الجنيهات الذهبية في سنة ۱۸۷۰ بريشة ماتيودي باستي او بيزانيللو ، هوذا تمثال نصفي لوزير صيني مهـاب . لقد وقف رجل الدولة هذا بكل حجمه امام نحاته لكي يتيح له تمثيل حجم متزن ومضاء كما لو كان يقف في منحت رودين ذاته . ان الرجل الذى نراه هنا هو غربي بالرغم من صينيته . اننا ندري في ليو ياه فان نحاتاً غربياً ونحن نجهل بعد درجة التطور العصري الذي بلغته الصين . ان قوة المحافظة الصينية لتزداد تساهلاً يوماً بعد يوم .

يفيدنا ديترنود، الشاعر السويسري، ان نوعاً من الاجداد الديني قد حمى ليوياه فان من الخرافات الشرقية وهذا شيء ربما كان يؤسف لدفنيا لان تلك الخرافات غذت فناً غريباً ضخماً وأخاذاً وقد اوجدت فنانين لم يستطع الغرب قط مضارعتهم . ولكن . اذا كان يحدث في مدرسة الفنون الجميلة في شانغاي حيث ذهب ليو ياه فان ، وهو في الثالث عشر ربيعاً يتعلم النحت ؟ لقد كان الطلاب يتلقنون فيها فن نحت النهضة الايطالية والعصر اليوناني وفن جيراردون ورودين . غير ان معلمي النحت في مدرسة شانغاي لم يكن يمكنهم ان يلقنوا طلابهم سوى مبادىء ذلك الفن الاولية . لذلك نرى ان ليو ياه فان كان معلم ذاته وهذا ما نهنئه عليه وخاصة بالنظر الى نجاح محاولته هذه اذ انه ، بعد اقامة اولى في اوربا اضحى ، عنـد عودته الى شانغاي ، معلما بدوره . الا انه لم يطل به الامر حتى زهد في التعليم وعاد لكي يستقي الفن ، هذه المرة ، من ينبوعه ، اي من النحت الاغريقي والايطالي . واكبر ظننا ان درسه الاول الذي افاد منه كان امام ميكال آنج وجان دي بولونيا حيث تعلم ان لا يضحي البتة ، وهو يعد اثره الفني ، بالخطوط الكبرى ولا بالاجمالات ، وان لا يعتد بالتفاصيل الا بنسبة اهميتها . وبتعبير آخر ، لقد ظل فن النحت في نظر ليوياه فان سلسلة من تصاميم ومواقف ومن حجوم قاتمة وافضية مضاءة ، وهذا ما يكفي ، مع حذق اليـد والعبقرية ، لخلق الروائع . ان المهم بعد هذا ، هو ان يحتفظ عمل الفنان بالاتقان والتوازن والانسجام البدهي وذلك بأقصى مـا يمكن من الحزم . ان ليو ياه فان هو ، قبل كل شيء ، مصور ولا يستطيع احد نظيره ان يكون بسيكولوجيا «على الطريقة الصينية» لان البسيكولوجيا في الفن الصيني تنحصر كلها في التعبير . يدلي الينا النقاد ديترنود، الذي نحت ليو ياه فان تمثالاً نصفياً له، بالتأثرات التي احسها وهو يقف امام نحاته . اننا ربما لا نوافق ديترنود على تفاصيل نقده الاخيرة ، فليست الصورة سوى خلق فني لا يتوخى المشابهة في الهيئة الا بقدر ما تدل على نفسية المثال . ان نحت صورة



امرأة عارية

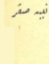
هو نحت ُخلق اي انه عمل جامع ، بليغ ، لا يهم المصور من الهيئة فيه سوى ما يساعده على ايحاء ُخلق المثال ان اجمل التماثيل النصفية التي نحتها ازميل بورديل ، مثلاً ، او دوبوا او رودين لا تشبه امثلتها كثير الشبه بحصر المعنى . اما تماثيل ليو ياه فان النصفية فهي تهتم خاصة بان تستخرج من مثالها مسحة شخصية تكون عنصر التعبير الاساسي ، وهذه محاولة يجدر بنا ان نهنىء عليها نحاتنا احر تهنئة . لقد عرف ، من جهة ثانية ، ان ينتقي امثلته من مثل جان مارتو وهنري تاز وجان فيوليت ومارتينه وشن ، وهذا الاخير هو طالب صيني . تتميز هذه التماثيل النصفية باختلافاتها اي بالخلق الشخصي الذي يهبها الفتون والندرة . غير اننا نعلم ايضاً اي احترام للفن واي اهتمام بالتفوق المطرد يحركان ازميل نحات مملكة السماء في عمله الكلاسيكي وهذا مـا دفع بد يترونود ، الذي لا يخفى شيء على نظره النقاد ، الى اطراء هذا العمل بحماسة .

يخيل الينا ان ليو ياه فـان لا يقلق كثيراً لايحاء الحضور الالهي وما ذاك الا لانه يعلم ان هذا الحضور يتغلغل في جميع الروائع ولا سيما الصالحة منها كالتي نحن بصددهـا . اما فيما يختص بهـذا التقصي الذي يبلغ به المرء الى نفسية قريبة فنحاتنا ينتسب خاصة الى اولئك الفنانين الذين يعرفون كيف ينظرون الى الاشيـاء والخلائق ولا همّ لهم سوى الاحاطة بنفسيتها ، لم ينحت ليو ياه فان إلا ما رأت عيناه ولم يعرف ازميله الغش قط فهو من هذا القبيل يستطيع ان يضم فخر الفنان النظيف الى اعتزاز العامل الحاذق ، ويكفيه اكليل الغار هذا تمجيداً لانه اكليل بورديل وسيزان ، غير ان ليو ياه فان ليس مصوراً فحسب بل هو نحات ايضاً والفن مدين له بتمثال رائع لفتاة دعاها حواء ليظهرها لهـا بثوب هذا الاسم ، وهذا التمثال هو عري منسجم يزيده نبـالة اللطف الذي اسبغه عليه الفن . يمكننا في هذه الحواء ان نسجل نزعة معينة وهي ان الفنان قد نظر فيه الى مثاله نظره الى فتاة من عامة الشعب لقد مضى الزمن الذي كان النحت يمثل لنا اولياء واساطير بقسمات دقيقة مترفعة كتماثيل فريميه ودوبوا ودالّو ، لقد بدىء بهذا التطور منذ الامبراطورية الفرنسية الثانية واذا لم يكن البادىء به هو رود بعينه فلا شك في انه فالغير او كاربو . اما انطوان بورديل فقد تابع هذا التقليد ولكنه استطاع ان يحمي فنه من كل ابتذال بفضل نبالة ازميله وعمق تعبير خطوطه . وهذا ما بلغ اليه ايضاً ليو ياه فان باستيحائه اوثق روائع الفن وبفهمه ان الواقعية العصرية لا يمكنها ان تفضي الا الى الابتذال ما لم يسيطر عليها الوقع والانسجام

يدلنا هذا على ان ليو ياه فان قد تفهم تفهماً عميقاً جميع عناصر فنه .

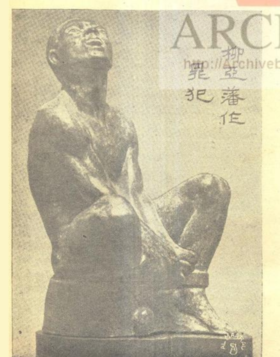
يبدو لنا ان هذا النحات الملهم يلذ له ان يتغلب على الصعوبات وهي لذة تحدث عنها ميكال آنج الى صديقه هولاندو . لم يدرس ليو ياه فان فن المعلمين الخالدين فحسب بل افاد فائدة عظمى من امثولاتهم مع احتفاظه بطابعه الخاص ، لسنا ندري لماذا تجتذبنا من آثار ليو ياه فان ادقها وادلها على شدة صفاء رؤياه وادراكه والتي تفتح لنا باباً لا على مملكة الاتقانية بل على امبراطورية الرؤيا حيث نرى ان الفن الصيني قد تلاشى حتى ذكراه . اذا كان هذا الفن قد اتى بروائع لا تضاهى أينبغي لنا ان نذكر هنا بان هذه الاعاجيب تتسم بطابعي التجميل والادهائي . اما النحات ليو ياه فان فقد اقصى عن فنه كل صفة تجميلية واضاف في اغلب الاحيـان الى الادهائي الميلودرامي روحية مسيحية محضة . فعلينا ان نسجل له ايضاً هذه المفخرة التي ستبقى احد عناصر الاغراء في فنه .

نعيم صقر



●

الرقيق



الحلاج

بقلم نسيب الاختيار



كان ذلك في عهد الصبا النَدي الغض ، حيث تنساب الحياة ، آمنة مطمئنة كالجدول الرقراق ، فلا ماضي نتحسر عليه ولا مستقبل نتطلع اليه ، كأن لا تاريخ لتلك الايام التي عشنا بها كما عاشت بنا ، في تلك الحقبة من الزمن ، حيث الاحلام المجنحة ، رائد طفولتنا الامين وكنزها الثمين كانت لنا مربية حبشية ، تقية نقية ، عاشت حياتها عاقلة ، كالصورة نذرت نفسها البتولة ابدية من البيت الى المسجد ومن المسجد الى البيت ، لا تعرف الا الدعاء ولا تشخص الا الى السماء وكانت كلما داف الليل واحتوت المدينة الظلمة ، دعتنا الى غرفتها البسيطة المتواضعة ، فنجلس هنا وهناك ، براعم لم تتفتح مشرئبة الاكمام الى ذلك النور الذي كان يشع من وجه انعكس عليه باطن نقي ، فتجلت في اساريره حلاوة صافية ، توحي الى النفس بالسكينة والطمأنينة ، وكان كل واحد منا يشعر في اعماق ذاته بان لهذه المرأة سراً ، اما كنه هذا السر ولغزه ، فقد غمّ علينا امره والتبس شأنه ، بحيث انها كانت تبدو لانظارنا ، مثل طيف حفت به طلاسم مبهمة غامضة وضاعف من قوة سحر هذه المخلوقة الاخاذ ، تلك الحكايات التي كانت تقصها علينا وتسكبها في مسامعنا ، كانت تفعل ذلك بتؤدة ولين ، وبصوت متهدج حنون ، كأنه نفحة موسيقية قدسية ، تبعث الرهبة والرغبة ، وتوقظ المشاعر الكامنة في الاعماق ، وكنا نجد في هذه الحكايات متعة ولذة ذلك لان هذه الحكايات ، بالرغم من صورها المشرقة في حين والقاتمة في حين آخر ، كانت تجد صداها البعيد في نفوسنا الساذجة الغريرة ، فتستجيب الى كل لون من الوانها وشكل من اشكالها وتستغرق في تأملات لا اول لها ولا نهاية ، وانها لتأملات ما زالت احلامها الهاجسة عالقة بالخواطر ماثلة في المشاعر :

وكانت حكاية (الحلاج) احب الحكايات الي واعزها علي كنت اصغي الى قصة هذا الرجل تسردها علينا مربيتنا الحبشية بضراعة فائقة ولهفة شائقة ، فقد اخذتني قصة الرجل عن نفسي وشغلتني عن ذاتي بحيث كنت استعيدها واستعيدها ، واردد في خلوتي تفاصيل واجزاء تلك الكرامات التي بلغت درجة المعجزات ، واهتف في سري « ايمكن ان يكون ذلك ؟ » وهل في مقدور الانسان تحقيق مثل هذه الخوارق ، وكنت كلما فكرت ، ادركت اني حيال لغز ، وان طلاسم هذا اللغز ستظل ملتبسة على موصدة الابواب مغلقة النوافذ ، فانطلق هائماً في آماد هذا العالم المسحور فاضفي على ما تسامى الى مسامعي ما شاء لتصور الوهم ان يضفيه وهكذا عشت حياتي الاولى في حلم سرابي تبهرني رؤاه ويجذبني سناه ، ولكن الايام ما لبثت ان مرت تباعاً تطوي بعضها بعضاً في سجل الماضي السحيق فاغابت عن ناظري تلك الغلالة الرقيقة اللطيفة ، وتبدت لي الحياة في حقيقتها الحلوة المرة ، بعد ان زايلتها احلام الصبا الهاجسة ، ولما عدت الى تلك الحكايات ، حكايات الطفولة وجوها الساحر ، فقدت الفتنة والمتعة ؛ فلا شيء يغويني ولا شيء يغريني فقد نفضت الاسطورة عنها الكفن وتجلت لي

حقيقتها العارية في كلمة من كلمات فاليري (لقد حقق العلم في العصر الحاضر معجزات النبوة) وهأنذا الآن في هذا العصر الذي اضفى عليه فاليري ذاك الوصف اعيش لاشاهد العالم وهو ينطلق على غير هدى فلا حفيف رجاء ولا وميض ضياء .

في غمرة هذا العالم الحائر القلق ، هذا العالم الذي فقد المثل العليا يقف الانسان ولا رائد له تتقاذفه الاهواء المتضاربة والنزوات المتباينة، فيلتفت ذات اليمين وذات الشمال ليجد النور الذي يهتدي به ، فلا يلقى امامه الا الظلمة المطبقة ، فيستسلم الى يأس لا خير فيه وسبات لا نفع معه ، في هذه الغمرة الحالكة ، يتوقف دولاب الحضارة وتتعطل مدارك الفكر، لان القوة المبدعة في ذات الانسان تنكمش وتتقلص وترتد الى الاعماق لا لتضفي عليها النور ، بل لتحرق رواءها وتهصر بهاءها فهذا الانسان الذي آمن في القرون الخالية بالمثل العليا ، ووجد في هذه المثل اجمل عزاء واسمى رجاء ، قد فقد ما وجده في الماضي ، فهو يعيش في زمن لا يعتقد فيه بان الانسانية صائرة الى ما هو ارفع واكمل واجمل وانبل ، يعيش في زمن انهارت فيه القيم والمفاهيم ، فلا حق ولا خير ولا عـدل في الوقت الذي كان في الماضي يؤمن بكل هذه الاشياء الرفيعة ، لانه كان باطراد ازدهار المثل العليا ومضيها من حسن الى احسن ، وهذا الشعور الذي كان يساور الانسان ، هو الذي حمله عـلى الاعتقاد بامكان الكمال الانساني ، اما الآن فقد تبدل كل شيء، وتحول فقد الايمان بالمثل العليا ، ففقد معه الايمان بامكان الكمال الانساني ، فلا شعور بوجود حق او خير او عدل ، فسيطرت النزعة المـادية بمعناها النفعي على النزعة المعنوية بمعناها المثالي ، فعاش الانسان عيشة آلية بحتة ، لا يؤمن لا بحضر ولا بمستقبل الحضـارة الانسانية ، فكان من جراء هذا كله ، هذا القلق الفكري ، الذي يخامر الانسان ويساوره ، هذا القلق الذي طبع حضارة القرن العشرين بطابع التجهم المرير .

لقد صدق (الكسس كارل) حينما ارجع معضلات المـدنية الحديثة الى ذلك التفاوت العميق القائم بين الرقي الروحي والرقي المادي ، فقد كان الشوط بين ثنائي قطب الوجود من البعد بمكان جردهما من الوحدة الكلية الشاملة ، فقد انطلق الرقي المادي دون ان يضع يده بيد الرقي الروحي ، خلف الاول الثاني في منتصف الطريق ومضى قدماً لا يلوي على شيء ، ففقدت الحضارة الانسجام كما فقدت الاتزان ، وسخر الفكر لخدمة مصلحة مادية مجردة ، لا لمصلحة مثالية مطلقة ، لا بل ان الفكر وضع في خدمة النفعية الضيقة ، النفعية التي تمليها الانانية التي لا همّ لها في الحياة الا تأمين اغراضها الذاتية ، فران الظلام على الفكر الانساني وخبت تلك الاضواء التي كانت تشع منه وتتألق ، فاضاع الانسان بذلك كل امل له فوق الارض وكل رجاء له في السماء ، ونحن اذا القينا نظرة عامة على الحياة الفكرية التي جاءت بعد الحرب العالمية الثـانية ، نلاحظ هذه الناحية واضحة كل الوضوح وظـاهرة كل الظهور ، والفكر المبدع الخلاق لا مكان له ولا وجود . الفكر الآن ، هو ذلك السنين المبتذل الرخيص الذي لا رسالة تاريخية له ولا مهمة انسانية تلقى على عاتقه فهذا الانسان الذي يلهو بالزمن ، ولا ينظر الى الحياة نظرته الى حقيقة خالدة ابدية الاطراد والازدهار ، يصدف عن الفكر المبدع ، لان الابداع هو المعول الهدام لذلك الطابع الذي اتسمت به حضارة القرن العشرين .

في هذه الغمرة الحالكة ، الحافلة بالخيبة الزاخرة بالقنوط ، يرتد الانسان الى عالم ذاته ليتحرى عن مثله الاعلى في عالم هذه الذات بعد ان فقد هذا المثل خارج وجوده الذاتي ، يرتد الانسان ليتأمل وليجد مخرجاً من هذه الحلقة المفرغة . ومن اعماق هذه التأملات يلوح ضياء قد يكون الرائد الامين لو عرف الانسان كيف يسير على هداه .

عدت الى نفسي لاجد فيها الملاذ الامين ، لاجد فيهـا ذاك العزاء الروحي الذي طالما تقت اليه وتلهفت عليه ، لم اعد كما عاد الحكيم سليمان لاقول (الكل باطل) بـل عدت لاقول (الكل حق) فقد وجدت في هذه الذات ، ومن الانطواء عـلى النفس عرفت وجودي ، وكل ما انطوى عليه هذا الوجود من خير وحقيقة وجمال ، فلم يعد مثلي الاعلى حقيقة خارجة عني ، بل حقيقة قائمة فيّ انا ، في هذا الجرم الصغير في امتداده اللامتناهي ، ومنذ اليوم الذي ادركت فيه (انا) عثرت على ضالتي المنشودة ، فـلم ابرم بشيء ، ولم اضجر من شيء ، ذلك لان الحيـاة انطوت في افقي الذاتي ، وما علي الا اضفاء النور على هذا الافق ليشع ويزدهر ، فما من شيء في هذا الوجود ، الا وخليق بان يحب ، مـا دام هذا الشيء يحمله في تضاعيفه (انا) انا هذه التي اوتيت القدرة المبدعة ، وكان من نتائج هذه القدرة، هذه الحضارة الرائعة الابدية الاطراد .

من صومعة ذاتي عرفت ما غم علي ، فتلمست الطريق لا رائد لي غير قلبي ولا دليل الا حبي فانجـابت امام بصيرتي الآفاق الرحاب ، هذه الآفاق التي ما كان لها الا ان تمتد على مقياس اوسع

لو تحقق التناغم بينها وبين غيرها ، على اعتبار ان الحيـاة وحدة مطلقة في اهدافها وغاياتها .

لم تكن (انا) هذه ، انانية ضيقة لا تؤمن بالشمول ولا تعتد بالامتداد ، كانت وهي في تخومها تدرك بانها جزء صغير من هذا العالم الكبير ، ومع هذا الصغر كانت من الاتساع بحيث انهـا طبعت كل ما وقع في متناول يدها بطابعها الخاص ، فهي وحدة منسجمة في عالم قام على صورتها وشيد على شاكلتهـا ، وهي في فرديتها تحمل في تضاعيفها الماضي كله والحاضر كله والمستقبل كله .

لقد آمنت بالحياة لانني آمنت بنفسي ، هذه النفس الـتي هي اثمن شيء في الوجود ، لن اقول ما قاله رابله (اسدلوا الستار فقد انتهت المهزلة) بل اقول ارفعوا الستار ، اذ لا مهزلة في هذه الحياة الدنيا ، في هذه الحياة حقيقة اكيدة ، تتجلى لنا متى تجلت لنا انفسنا ، ومتى تجلت هذه الحقيقة ، عرف الانسان كيف ينثر الخير ويبعث الجمال ، ويضفي على الوجود الحب .

***

لقد استطاعت تلك المربية الحبشية ؛ ان تضفي عـلى قصة الحلاج ، اشياء ما كان في مقدورها الامتداد ، لولا صدق شعورها بما كانت تنقله الينا وتسرده علينا . فاشرقت تلك الاشياء وازهرت ، وبدت جميلة حلوة ، لا لانها جميلة هي بالذات ، بل لان ميلنا اليها اضفى عليها غلالة من جمال اخاذ ، فصدق شعور المربية الحبشية ، هو الذي جعل قصة الحلاج جميلة في نظرنا ، لطيفة الوقع على مسامعنا ، ولم تعد روعة القصة قائمة في ذات القصة ، بل في قلوبنا وما في هذه القلوب ، من وساوس اوهام وهواجس احلام .

ان حياة رجل عاش فكرته ، واراد ان يجعل من هذه الفكرة قاعدة علمية لدنياه ، لهي حياة جديرة بالعناية خليقة بالاهتمام ، مهما كان نوع الفكرة التي اعتد بها واخذ باسبابها ، اذ ما من شيء في هذا الوجود ، اعظم من انسان عاش فكرته ، وتغذت هـذه الفكرة بقوة الشخصية ، لا بقيم النظريات وروعة المصطلحات ، فنحن اذ نقدس سقراط ، انما نقدس فيه تلك الفكرة التي عمل لها وسعى وراءها ، وجعل من حياته فدية لها ، لقد وهب سقراط الحياة للفكرة ، ولاجل هذه الغاية وحدها ، عمل وناضل ، ومـا حكاية الحلاج الا نظير حكاية سقراط ، وضـع نصب عينيه صورة مثالية ، وحاول ان تكون حياته مطابقة لهذه الصورة ، ولكن نزعة مثل نزعة الحلاج ، ما كان في مقدورها ان تحظى بتسامح المجتمع الذي عاش بين ظهرانيه ، اذ كيف يجد التسامح لنفسه سبيلا مع رجل تناقض آراؤه ما اجمعت عليه كلمة الناس ؟

وهل الحقيقة في نظر المجتمع ، غير هذا الشيء الذي اتفقت عليه الكلمة واجمع عليه الرأي ؟

لقد دعا الحلاج الى نزعة تتعارض مع التعـاليم الدينية المقررة ، والسلطة الزمنية القائمة ، لا بل ان نزعة الحلاج كانت تتعارض ايضاً مع آراء فريق من المتصوفة الذين ينتمي اليهم الحلاج نفسه ، بالرغم من ان نزعة الحلول التي نادى بها الحلاج لم تكن نزعة جديدة في تاريخ الاسلام ، اذ ظهرت في عهد علي بن ابي طالب ، على لسان عبدالله بن سبأ ، الذي زعم ان علي بن ابي طـالب كان نبياً ، ثم صار الهاً ، ولما قتل علي ، ادعى عبدالله ، ان المقتول هو شيطان بصورة علي ، وان علياً صعد الى السماء كما صعد عيسى بن مريم ، وجاء بعد عبدالله بن سبأ دعاة ذهبوا الى ابعد ما ذهب اليه هذا الرجل ، مثل المقنع الذي ادعى لنفسه الالوهية في زمن المهدي .

وتشعبت نزعة الحلول وامتدت ، حتى بلغت عشر فرق ، وقد حددها وعرفها صاحب كتاب الفرق بين الفرق بقوله .

« الحلولية بالجملة عشر فرق كانت في دولة الاسلام ، وغرض جميعها القصد الى افساد القول بتوحيد الصانع وتعطيل فرقهـا في الاكثر ترجع الى غلاة الروافض وذلك ان السبأية والبيـانية والجناحية والخطابية والنمرية منهم باجمعها حلولية وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية وقوم يقال لهم بركوية وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية وقوم يقال لهم حلاجية ينتسبون الى الحسين بن منصور الحلاج .

ومن هنا نلاحظ ان نزعة الحلاج ، كانت نزعة قديمة معروفة في تاريخ الاسلام ، ومع هذا لم تكن في نجوة من معارضة رجال الدين ، ورجال الدولة وبعض المتصوفة ، فنحن اذا القينـا نظرة فاحصة على نزعة الحلول في تاريخ الاسلام . نلاحظ انها نزعة ذات خطر سياسي ، فالذين دعوا اليها هم الروافض الذين كانوا يرومون الى خلع اقدس الحرمات على آل بيت علي بن ابي طـالب ، حتى يؤمنوا لهذا البيت السيادة السياسية ، التي حرموا منهـا في صدر الاسلام ، وفي العهدين الاموي والعباسي ، فلما ظهر الحلاج وراح يدعو الى نزعة الحـلول ، وانتشرت دعوته بين ظهراني المريدين والانصار ، واستمال في بغداد جماعة من حاشية الخليفة ، كمـا

استمال جماعة من حرمه. خاف الخليفة المقتدر بالله مغبة الفتنة فحبسه، وصلبه. اما رجال الدين فقد ناهضوا الحلاج لان نزعته تخالف قواعد الاسلام واصوله ، فقد كان الحلاج ينتقل ويدعي الربوبية، ويقول لاتباعه ان ارواح الانبياء انتقلت اليهم، فيقول لاحدهم انت نوح، وللآخر انت آدم ، ويزعم انه يحيي الموتى ، وان الجن يخدمونه ويحضرون اليه ، ويأمر اتباعه بالسجود له ، ويدعو الناس الى ترك الفروض الدينية ؟ اذ كان يقول لهم « اذا فعل الانسان كذا من الجوع والصدقة افناه ذلك عن الحج والصوم والصلاة. » ومثل هذا الامر لا يرضى به ولا يسكت عنه رجال الدين وكان في طليعة الذين ناقضوا الحلاج من رجال الدين ، القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الاشعري ، والقاضي ابو بكر بن داود ومحمد بن يحيى الرازي الذي قال سمعت عمر بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه اقتله بيدي، قلت ايش الذي وجد الشيخ عليه ؟ قال : قرأت آية من كتاب الله . فقال الحلاج يمكنني ان اؤلف مثله او اتكلم به .

ولا ريب ان مثل هذه الاقوال ومثل تلك الاعمال ، لايقرها رجال الدين ، الذين يعتبرون انفسهم حماة الشريعة وسدنتها . فأفتوا بقتله عندما سألهم الخليفة في امره .

اما المتصوفة ، فقد اختلفوا في امره فنسبه بعضهم الى الشعبذة والى الزندقة ، قال الخطيب البغدادي ، « والصوفية يختلفون فيه فاكثرهم نفى ان يكون الحلاج منهم » وقال ابن فاتك « رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال « كاشفته بمعنى فدعا الخلق الى نفسه فانزلت به ما رأيت » . وقد تبرأ منه بعض المتصوفة الذين صاحبهم الحلاج نفسه مثل عمرو بن عثمان المكي . قال عمرو « كنت اماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن فقال يمكنني ان اقول مثل هذا » .

والمعلوم ان المتصوفة يجعلون من الدين الينبوع الذي ينهلون منه ، فتجديف الحلاج ، واعلانه القدرة على محاكاة القرآن امر لا يقره المتصوفة ، هذا فضلاً عن هتكه لبعض الاسرار الخاصة بالمعرفة الصوفية ، هذه الاسرار التي حرص المتصوفة كل الحرص على الاحتفاظ بها لانفسهم وحدهم دون سائر الناس اجمعين، وفوق هذا كله فان التجريد الصوفي كرياضة روحية ترمي الى تطهير النفس وتحريرها من سلطان الغرائز والرغبات ، هو في جوهره انعتاق من الحيوان الكامن في ذات الانسان ، والسمو بالنفس الى

المثل الاعلى المتصور في وجدان الصوفي ، فالصوفي والحالة هذه هو في ارتقاء صاعد نحو المثل الاعلى المنشود ، فحينما يعتقد الصوفي بان هذا المثل الاعلى قد حل فيه، انما يهبط بهذا المثل من السماء الى الارض ، ويضفي عليه صفة بشرية ، على حين ان الصوفي الذي يتطلع بنظره الى السماء يضفي على مثله الاعلى صفة سامية ، يجعل منها قدوة ، وحتى في حالة فنائه في هذا المثل الاعلى لا يعتبر نفسه ذات المثل الاعلى نفسه ، بل هو صورة من صوره ومن هنا ندرك الاسباب التي حملت بعض المتصوفة على انكار نزعة الحلاج الى الاله الانساني لا الانسان الالهي وبذلك عرض نفسه لنقد بعض المتصوفة الذين لا يذهبون هذا المذهب ، ولا ينحون هذا المنحى .

وعارض المتكلمون الحلاج وكفروه لان معظم المتكلمين لا يدينون بنزعة الحلول بالرغم من تأييد المتكلمين التي تقول بالتجلي .

***

عرف احد المتصوفة ، التصوف بقوله « التصوف حال ، ظاهره تلبيس وباطنه تقديس » ومثل هذا التعريف جدير بالملاحظة وخليق بالاهتمام ، اذ يجد فيه الصوفي ، ما يبرر اعمال الحلاج واقواله ، فكم حملت هذه الاقوال وتلك الاعمال على غير الوجه المقصود والغرض المنشود ، فوصم الصوفي بما هو منه براء ، ونسبه الى ما لا يمت الى حقيقة حاله بصلة من الصلات ، لا لشيء ، بل لان الجهل هو مصدر الحكم، وقد ادرك الشعراني هذه الناحيه فذكر في طبقاته الكبرى ان من لا المام له باصطلاحات اهل الطريق ، فقد ينكر عليهم نظارهم الى الاشياء، فقد يقول الصوفي «حقيقة التقوى هي ترك التقوى» وقد يقول الصوفي «حقيقة التوبة هي التوبة من التوبة» ومثل هذا الكلام مدعاة الى تكفير صاحبه ، اذا حمل على معناه الظاهر لا على معناه الباطن ، وقد يذهب الصوفي في تفسير ما يعرض عليه مذاهب غير مألوفة ومسالك غير مطروقة ، فيخيل الى الناس ، ان ما جاء به الصوفي بدعة ، ولكن الصوفي كما يقول الشعراني لا يأتي بشرع جديد وانما يأتي بفهم جديد ، فهذا التجدد في تصور الاشياء ، وتصويرها كان وما زال ، مصدر نكبة الصوفي وغير الصوفي ، كان التجدد مصدر نكبة الصوفي وغير الصوفي، لان الجديد هو الحياة في اطرادها المستمر هو هذه الوثبة الحيوية، التي لا مكان لها في دنيا الذين ران عليهم الجمود وآثروا بناء صرح الحياة نفسها سواء بسواء، هو الذي حمل الرجعية في كل زمان ومكان ، على الوقوف في وجه اولئك الذين يتطلعون بانظارهم الى المستقبل الرحب ، غير آبهين بالاوابد والاصنام ، ولا بهيا كل هذه الاوابد والاصنام وذلك لان حياتهم

تنطلق امامهم ، وهي تحمل في يدها مشعل النور ، نحو كل غـاية سامية نبيلة ، ان هذا الفهم الجديد الذي حدثنا عنه الشعراني ، هو المحرك الرئيسي للحضارة الانسانية ، هو هذا الفيض من الالهام المبدع الذي حقق للانسان التصورات المجنحة ، فكم من ظاهرة نسبت الى الشعبذة ، كانت في جوهرها حقيقة اكيدة ، ضربت باوفر قسط في خدمة عالم الانسان ، فما هو تلبيس في نظر الناس هو تقديس في نظر الصوفي ، وماذا تهم اقوال الناس ، اذا كانت في رأس الانسان فكرة ، وهذه الفكرة تحتل من نفسه مكان العقيدة ؟

لقد تعرض الذين ادوا رسالة للحضارة الانسانية ، لافدح النكبات واخطر العقبات ، ومع هذا فقد عملوا ونالوا ، ذلك لانهم كانوا يؤمنون برسالتهم ويعتقدون بفكرتهم ، وقد كان الحلاج من اولئك الذين يؤمنون بانهم يؤدون رسالة ويعتقدون بفكرة ، فلم يحفل بالسجن ولم يأبه بالصلب ، وهو اذا وجد من افتى بصلبه ، ندد به وتحامل عليه ، فقد وجد ايضاً ، من ناصره وآزره ، وجد الشيخ الاكبر وابو العباس بن عطاء ومحمد بن حنيف وابو القاسم النصراباذي هؤلاء الذين وصفوه « انه عالم رباني وبانه ولي الله وصاحب كرامات » وقال عنه ابن خلكان « قتل الحسين الحلاج ولم يثبت عليه ما يوجب القتل » وهكذا لم يعدم الحلاج الانصار كما لم يعدم غيره من الرجال الذين جعلوا حياتهم فدية لفكرتهم ، ذلك لان الحلاج نذر نفسه لفكرة ولاجل هذه الفكرة عاش .

ومهما يكن شأن نزعة الحلاج الصوفية ، فالامر الجدير بالملاحظة هو ان الحلاج لم يشأ ان يجعل نزعته فكرة مجردة ، بل حاول ان يستغل هذه النزعة لغاية سياسية وقد وصف صاحب شذرات الذهب هذه الغاية بقوله (وقتل الحلاج ودخل عليه الداخل من الكبر والرياسة) فهذا الداخل من الكبر ولا سيا « الرياسة » هو مصدر نكبته في الحقيقة ، وقد تجلى هذا الداخل الذي تحدث عنه صاحب شذرات الذهب في شعر الحلاج :

ولي نفس ستتلف او سترقى ... لعمرك بي الى امر عظيم

وقد صدق حدس الحـلاج اذ تلفت نفسه دون ذلك الامر العظيم الذي ينشده ويتطلع اليه وكان امنية عزيزة عليه حبيبة اليه ، وقضى كما قضى غيره من اولئك الرجال الذين اشرأبت اعناقهم الى ما فوق متناول يدهم ، فدفعهم الجد العاثر امامه ، ليسقطوا صرعى الاماني وقرابين الاحلام ، اما الزمن فقد وقف ليسخر من الانسان ليسخر من عجزه وضعفه وليسجل صفحة من صفحات عبث القدر .

لقد اراد الحلاج شيئاً جسيماً في هذه الحياة الدنيا ، شيئاً تتقطع دونه الاعناق ، نشد رياسة عن طريق محفوفة بالمكارة حافلة بالاشواك فلم يعمد الى مثل ما عمد اليه غيره من اصحاب النزعات التطلعية في ذاك العصر بـل عمد الى شيء لا يقره عليه المجتمع الذي كان يعيش بين ظهرانيه فقد كانت نزعة الحلاج الحلولية ، نزعة لا يمكن ان تجد لنفسها صدى في مجتمع يؤمن بعقيدة مقررة وشريعة مرصودة في مجتمع لا يمكن ان يفهم في حال من الاحوال ان الانسان اذا هذب نفسه في الطاعة وصبر على الشهوات واللذات وارتقى الى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي درجات المصافاة ، حتى يصفو عن البشرية ، فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الاله الذي حل في عيسى بن مريم ، بلى ان مجتمعنا نظير مجتمع الحلاج لا يفهم نزعة من هذا القبيل ، لا بل ان المتصوفة الذين رافقهم الحلاج فعرفهم وعرفوه وخالطهم وخالطوه ، لم يهضموا ما ذهب اليه الحلاج ، فكيف تكون حالة عامة الناس التي لا حظ لها ولا نصيب من المعرفة الصوفية ؟ كيف يتسنى لمجتمع نظير مجتمع الحلاج كان يدرك ما ذهب اليه هذا الرجل حين قال :

سبحان من اظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

لقد دعا الحلاج الى نزعة غريبة عن الاسلام ، نزعة لا تتنافى مع الشريعة فحسب بل تتنافى ايضاً في غايتها القصوى مع سلطة الدولة ايضاً فكان نصيبه السجن والصلب ، كما دعا الحلاج الى نزعة لا تتفق في شيء مع العقلية والنفسية وهذه النزعة هي الوحـدة المطلقة حيث عبر الحلاج عنها في قوله :

أنا من أهوى ومن أهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته ... واذا ابصرته ابصرتنا

وذلك لان طبيعة العربي العقلية والنفسية تقوم عـلى اساس النظرة الجزئية الى الشيء لا على اساس النظرة الكلية الشاملة ، وهي الى هذا طبيعة حسية لا طبيعية تجريبية فلا عجب والحالة هذه اذا لاقت فكرة الحلاج الصوفية مناهضة من المجتمع الذي عاش بين ظهرانيه .

دمشق — نسيب الاختيار

اثر العظماء في التاريخ

بقلم نجم الدين حمودي

☆

اثر الافراد في تغيير مجرى التـاريخ من المواضيع الطريفة الـتي جلبت اهتمام المفكرين في كافة العصور، ولا عجب اذا وجدنا الفلاسفة يولون هذه المشكلة عنايتهم فيثيرون الجدل حولها . ومن الجدير بالذكر ان هذا الجدل جعل الفلاسفة ينقسمون الى فئتين متناقضتين، فئة تقول « ان التاريخ في جوهره عبارة عن سير العظماء »[1] وبكلمة اوضح «ان التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من البشر الذين يؤلفون زعامة اجتماعية مستمدة من مزاياهم الشخصية »[2] . اما الفئة الثانية فتدعي بعكس هؤلاء تماماً ولسان حالها يقول : ان العظماء نماذج كاملة للبيئة التي يعيشون فيها .

ان من جملة من يعضد نظرية تأثير العظماء على سير التـاريخ وقدرتهم على تغييره الكاتب الانكليزي « توماس كارليل » في كتابه « الابطال وعبـادة البطولة » فيتحدث عن النبي محمد و« اوليفر كروموبل » ويجعلهما امثلة للرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ . امـا رأي « كارليل » في نابليون فيختلف كل الاختلاف مع رأيه في النبي محمد وكروموبل اذ انه يجرده من صفة العظمة ، ويشاركه في هذا الرأي الكاتب الروسي « تولستوي » الذي يحلل شخصية نابليون بقوله : « انه رجل خلقته الظروف والمصادفات التي تحكمت في انتصاراته اول الامر ثم عـادت فسببت خذلانه واندحاره »[3] .

ومن ابرز المؤرخين المعـاصرين في انكلترا الذين شرحوا نظرية العظماء واثرهم في التاريخ وهو السر « شارل اومان » استاذ التاريخ في جامعة اوكسفورد الذي يعارض نظرية التطور الـتي فحواها : ان التاريخ سلسلة من الحوادث التدريجية الاعتيـادية وبهذا تتغافل هذه النظرية عن اثر العظماء وقدرتهم في تغيير التاريخ فتجعل من اعمالهم صورة للادوار التدريجية الاعتيادية والحتمية الوقوع .

ان السر « اومان » من معاضدي نظرية العظماء ويدعم رأيه بأمثلة لاشخاص غيروا مجرى التاريخ دون ان يكونوا ممثلـين لبيئتهم التي عاشوا فيها . واول ممثل يستشهد به هو النبي محمد فيقول : « لقد اخفقت في محاولاتي الكثيرة لايجاد مؤرخ واحد يستطيع البرهنة على ان النبي محمداً كان وليد الحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت تسود الجزيرة العربية في القرن السابع بعد الميلاد . ولم اجد بين المؤرخين ايضاً من يقدر ان يقول : لو لم يبعث النبي محمد لكان من الطبيعي ان يستعاض عنه بشخص يقوم بنفس المهام التي اضطلع بها »[4] ويستمر السر « اومان » في بحثه عن النبي محمد فيقول : « منذ القرن الثاني للميلاد حتى اواخر القرن التاسع عشر وجد عدد من الانبياء او الذين حاولوا التشبه كظهور المهدي في السودان ، الا ان جميع هؤلاء لم يقوموا باعمال خارقة كالتي قام بها النبي محمد الذي جعـل ابناء الصحراء امة تمكنت من المحافظة على المدنية وتقدمها في نصف ارجاء المعمورة »[5] .

يبلغ اعتداد السر « اومان » بنظريته الذروة عندما يستشهد بسيرة وليم الفاتح فيقول : « لقد لعبت بريطانيا العظمى خلال القرون الماضية دوراً مهماً في تاريخ ومقدرات العالم ، واني اؤكد جازماً انه لولا مجيء وليم الفاتح لما تيسر لبريطانية ان تلعب هذا الدور في الاوضاع العالمية ، وان تاريخ بريطـانية كان من المحتمل ان يكون شبيهاً بتاريخ الدول الاسكندينافية » اي معزولاً عن

(1) Carlyle, Hero & Hero Worchip, Oxford University Press 1935

(2) علي ادهم (المذاهب السياسية المعاصرة) مصر ١٩٦٥

(3) Leo Tolstoy, War & Peace, The Heritage Press, New York 1938

(4) Sir Charles Oman, On the Writing of History, Methuen & Co. London 1939

(5) نفس المصدر ص : ١٣٢ – ١٤٦ .

السياسة الاوربية العامة لولا وليم الفاتح وانتصاره في موقعة « هيستنكز » عام ١٠٦٦، ولا غرو اذا قلنا انه لو كتب لوليم الفاتح ان يندحر عوضاً عن « هارولد كود وينسون » في موقعة جسر «سنلاك» لبقيت بريطانية محافظة على عزلتها ولازمت عدم التدخل في القارة الاوربية .

ونستعرض الآن رأي كاتب آخر يفوق السر « اومان » في عمق تفكيره وبحثه الفلسفي المركز، وهذا الكاتب هو « جيكوب برخادوت » استاذ التاريخ بجامعة « بيزل » في سويسرة بين عام ١٨٦٥ و ١٨٨٥ . يبتدىء « برخادوت» بالقاء نظرة عامة على مفهوم كلمة العظمة والغموض الذي يكتنف ماهيتها لعدم وقوعها ضمن الاشياء المادية التي يمكن وزنها وقياسها، فلا هي هبة حتى يعرف مصدرها ولا هي منحة حتى يشار الى مانحها وعلى هذا الاساس فان الحكم على عظمة الاشخاص حكماً عادلاً امر من الصعوبة بمكان عظيم(٦) .

ويعتقد « برخادوت » ان من اهم الصفات الملازمة للعظمة هي انها وحدة فريدة غير ممكنة التعويض (Unique and Irreplaceable) . ولهذا فالرجل العظيم هو ذاك الشخص الذي لولا وجوده لما تمّ تنفيذ جزء مهم من الاعمال الخطيرة في تلك الحقبة من الزمن وذلك المكان الذي عاش فيه . ويتعرض « برخادوت » الى المثل السائر «ليس هناك فرد لا يمكن تعويضه» فيقول : نعم ان هذا المثل ينطبق في اكثر الحالات وأعمها الا ان اولئك الافراد الذين لا يمكن تعويضهم هم العظماء ويكونون عادة اقلاء وسيبقون كذلك او ربما يقلون(٨) .

ولا شك في ان التقدم الذي بلغته الانسانية في المضمار الحضاري من علوم وفنون وآداب اصبح ممكناً بفضل جهود نفر من العظماء الذين سخروا مواهبهم في سبيل تحقيق هذا التقدم . وان من يدرس آراء « برخادوت » بصورة دقيقة يلاحظ انه يميل الى جعل العظمة تتمثل في الفلاسفة والفنانين فقط، فيقول في سياق بحثه : « انني لا اعد المخترعين والمكتشفين من العظماء لان ما ينتجونه يمكن التوصل اليه في يوم من الايام ، اما الفلاسفة والفنانون فلا يمكن ان يستعاض عنهم بصورة مطلقة . فلو صادف ان مات رفائيل قبل نضوجه الفني لما خرج في العالم شخص مثله يتمكن من رسم لوحته الخالدة « تجلي المسيح » Transfiguration ومن البديهي ان يكون تصوير العاطفة والخيال وتجسيد الوحي والالهام في هيئة جميلة واظهارها بشكل آية فنية رائعة تكشف النقاب عن مواطن الجمال ليس بالامر الهين لان اعادة خلق الافكار وتجسيدها في مظهر فني لا يقدر ان يقوم به الا خالق الفكرة نفسه .

خاتمة : اعتقد ان الآراء التي بينتها حتى الآن تكفي لاعطاء فكرة عامة عن النظرية التي تقول : « ان التاريخ سلسلة من سير العظماء » اما النظرية المعاكسة التي من ابرز زعمائها سبنسر فتقول ان الانسان خاضع لمحيطه ويتطور بتطوره واذا ما تعارضت ميول الفرد مع سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى الا آثار التطورات الاجتماعية المحتمة الوقوع . ويدعي اصحاب هذه النظرية — نظرية التطور — ان الاعمال العظيمة التي استطاع ابطال التاريخ ان يقوموا بها لم تتيسر لهم الا عندما اتجهت ارادتهم وميولهم نحو تحقيق الرغبات التي كانت ضرورية لتطور المجتمع . لذلك فان التطور المادي هو اساس كل شيء في التاريخ وكل الحوادث التاريخية بما فيها سير الابطال تتمشى وسنة الطبيعة بدون استثناء .

وبعد ان استعرضت بصورة مجملة آراء كل اصحاب النظريتين اود ان اذكر بان كلا الفريقين على الرغم من الحقائق التي يبينونها كانوا مغالين ومتعمدين في نظرياتهم ، ويمثل ذلك ما ذكره السر « اومان » عن النبي محمد فمع انه عظيم حقاً الا ان ذلك يجب ان لا يحجب عنا حقيقة واقعة وهي لو لم تكن الظروف مهيئة لقبول دعوته ولو لم تكن هناك عوامل كثيرة ساعدت على نشر دعوته لما كان له هذا التأثير على مجرى التاريخ . والكلام نفسه يقال عن وليم الفاتح ، اذ ان ايجاده لنواة بريطانيا كان في طريق التحقيق قبل ظهوره .

اما من جهة نظرية التطور فليس من المعقول ان نفسر جميع حوادث التاريخ بتفسيرات مادية صرفة ونهمل اثر الشخصيات الفذة التي اثرت في سيره . ولهذا فالنظريتان اذا فرقنا كلاً منهما على حدة تفشلان في تفسير الحوادث التاريخية واثر العظماء فيها ولكن اذا جمعناهما معاً وشكلنا نظرية ثالثة تجعل العظماء يؤثرون على الظروف ويكيفونها بحسب اهوائهم وفي الوقت نفسه تجعل الظروف تؤثر على العظماء وتتحكم في مصير اعمالهم نكون قد قربنا كثيراً من الحقيقة .

بغداد نجم الدين حمودي

---

(٦) نفس المصدر ص ١٣٢ — ١٢٦ .

(٧) Jacob Berckhardt, Reflections on History, Translated by M. D. H, second edition, 1944, George Allen, U. S. A

(٨) نفس المصدر صحفة ١٧٣ . ويشاركه في هذا الرأي المفكر الالماني اوزفالد شبنكلر في كتابه « تدهور الغرب » ص . ٤٤٤ الجزء الثاني .
Spengler, The Decline of the West, Special edition by A. Knopf, N. Y. 1939

فرحات

في متحف الادب واجهة خاصة حبيبة الي عزيزة علي ٠اقف حيالها الفترة بعد الفـترة مستعرضاً رسومها والوانها . وفرحات، زاده الله خصباً ، ما يزال يتمهدني من رائع فنه بكل طريف. ان لم يكن في قصيدة ينشرها على الملأ ففي رسالة خاصة ينمق لي مروج نثرها بورود شعرها . كاني اقع، ما وقعت، من روحه الفياضة ، على جدول منساب يتجدد سلسبيله في فمي عند كل رشفة واني ليسرني ان اطلعك على بعض هذه القطع لتشاركني متعتي واعجابي . ان الادب من المنافع العامة ، وما انا من حيتان الاحتكار . وحقي وحقك من شعر فرحات اعظم من حق فرحات نفسه فما ارسل البدر اشعته كرمى لعينيه هو ، ولا انبعث اريج الوردة ليطيب انفاسها هي . .

قال من رسالة في ١١ تموز سنة ١٩٣٧ : عند وصول رسالتك كان الى جـانبي صديقي الاديب رامز مكارم فرآني ضحكت عند احدى الجمل فسألني الخبر فقلت له اسمع ما يقول القروي .

« والظاهر ان الكلب الذي عاد الى قيئه الخ » واسمع ما نظمت امس .

زعمتَ وانت جانٍ وابن جانٍ ... بانك من اهانتنا بريء
وانك لم تُرد بالعرب شرّاً ... ولم تنسب اليهم ما يسيء
جبنت لدن رأيت السوط يهوي ... عليك فانت كبر لا جريء
فان تبلع هراءك ليس بدعاً ... فان الكلب يبلع ما يقيء

ومن رسالة في ٢٣ آب سنة ١٩٤٨ قال يشكو جزعه على زوجته من رأي الطبيب — قبل ان تكشف الاشعة بطلان زعمه والحمدلله — ويبث لي لوعته على اخيه المصاب بالسرطان ممهداً لابياته المؤثرة بالفقرة الآتية : —

هذه قصة مروية مشروحة بشعر لا اثر فيه للخيـال . واني اطمئنك ان الفحص بالاشعة اثبت ان خوف الطبيب من الرئتين في غير محله . اما اخي المذكور في الابيات فهو مقيم هنا « موقتاً » لان السرطان — لسوء الحظ — لن يمهله طويلاً :

شكت القرينة وعكة فمضت الى ... آس لها بذكائه ايمان
وصحبتها ليكون لي مما ارى ... واعي واسمع عنده اطمئنان
فمضى يدقق فاحصاً ولوجهه ... مما يصور وهمه الوان
حتى اتمّ فقال للرئتين في ... الحمى التي تنتاب عرسك شان
فتساقطت كلماته في أضلعي ... ناراً وغطى مقلتيّ دخان
وذكرت داء أخي وما يلقى اخي ... منه ويلقى الاهل والاخدان
وتذكري الداءين ذكرني — وان ... لم أنس — ما تتحمل الاوطان
فسترت وجهي باليدين وصحت من ... ألم ينوء بحمله انسان
رباه عفوك ما جنيت وما جنت ... هذي الرفيقة والاخ الموان ؟
في الانكليز وفي اليهود كفاية ... فعلام هذا السل والسرطان ؟ !

اما جوليا ، عرس الشاعر، فلا بأس عليها والحمدلله واما فيليب اخاه فقد رحمه الله من اوجاعه فتوفـاه اليه بعيد وصول الرسالة المذكورة وقد بعثت الى الرفيق العزيز بكتاب تعزية لاازال اذكر نصه كما يلي :

« اخي . ما فيليب ، رحمه الله ، الا احدى « فرحـاتك » ساخها القدر عنك . اسأله تعالى ان يجمل صبرك ، وان يخلف عليك اضعافها في ولدك واحفادك ، بمنه وكرمه » . اخوك القروي

***

ادب الرسالة

بقلم الشاعر القروي

ولقد ابى الدهر الا ان يوالي ضرباته على قلب شاعر العروبة الدقيق الحس فلم يلبث ان فجعه باخيه الثاني . فنعاه الي في الثامن من هذا الشهر — شباط — سنة ١٩٤٩ بكتاب يقطر الماً وحزناً . وهذي فقرة منه كلها حكمة وعبرة وشعور نبيل قال : « فانا اكتب اليك قبيل الثامنة صباحاً ، وبعد ساعة موعد دفن اخي . لقد كان اكبرنا سناً واطيبنا قلباً واكرمنا نفساً . وهكذا فاني افقد اخوي في خلال اشهر لا تبلغ الاربعة ولكني جليد على احتمال ما يقذفني به الدهر . فانا لم اكن يوماً ممن يؤملون منه خيراً . ولذا فانه لم يأخذني على غرة . واني لاعلم ان المرء اذا لم يمت قبل اخوانه وخلانه كان عليه ان يحتمل ما يجره عليه موتهم قبله من الالم . جعل الله اخي فداك يا اخي ! » .

جاوبت فرحات بكتاب لا اذكر منه شيئاً غير دموعي الحرى التي بللت صدري . ولا سيما عند مطالعة العبارة الاخيرة مما نقلته لك . وهل في الدنيا شاعر يمكنه ان ينثر او ينظم جواباً كفوءاً لهذه العبارة احسن من الدموع ؟ !

وبعد أطالعت بائية فرحات في الامير عادل ارسلان؟ انها بجملتها فريدة من فرائد الشعر العربي القديم والحديث . ولكن منها قطعاً حلّق فيها فرحات ما شاء له جناحاه القويان الطليقان حتى سامى افحل الفحول . واليك منها قطعة يفخر بها شاعر العروبة بامته ويقيم عذرها لتقصيرها الراهن عن دول العالم الكبرى وفي هذا العذر صورة استوحاها الشاعر من الواقع ووفق الى مـا لم يوفق الى خير منه شاعر قط :

ما الامة المرجى تجددها ... الا التي زان ذكرها الكتبا

من المساء الاخير

عندما انطلقت هذا الصباح لم يكن لدي ما اعطي ولم تكن لدي رغبة في ان آخذ . فمررت بالاصدقاء وعبثاً حاولوا ان يحصلوا على شيء او ان آخذ منهم اشياء.. وحين مررت بها حيتني في ابتسامة سخية، حتى اذا ما خلفتها احسست ان فراغاً يمتلىء .. وقلت في سذاجة : سأحتفظ بهذا السر لنفسي ولن اشرك فيه احداً غيري . لكن نشوة السر المكتومة كانت كنبعة باردة تنتشر خلسة في دمي حتى فاضت فرحتي تبغي تفجراً ، وعندما مررت في المساء عائداً بالاصدقاء ، كنت اريد ان آخذ منهم كل ما لديهم واعطيهم كل ما عندي ، فاستمعت الى احزانهم وافراحهم وآمالهم وانا اعطيهم قصتي في ابتسامات سخية نشوانة .

لا تحسبينا اخطأنا حين التقينا ياعزيزتي فما كنا الغاية في لقانا ، بل جسراً يمهد عليه كل مناماضياً في طريقه الممتد الى غير مانهاية .

فلا تندمي لانك دخلت في حياتي ، فحيث اقتربنا تكون لدي كنز ثمين ، ويوم التقينا كانت حياة صاخبة مزدحمة بالضحك والدموع .

ولا تأسفي لانني مررت بك ، فكثيرون يمرون لكنهم يمضون صامتين ، وانا وحدي الذى استطعت ان املأ حياتك مغنياً بها .

ودعيني من هدوء اومن في نفسي ، انني تركت في احشائك جنيناً لن يموت ، سينمو معك دائماً ، ويذكرك بي ابداً .

ولا تجهدي نفسك في نسياني ، فسريعاً ما يمر الزمان وتبهت صورتي لديك شيئاً فشيئاً حتى تختفي وراء ذكريات جديدة ودافئة .

ولا تحرميني متابعة طيفك ، بل أذني لي ان اقسو عليك لحظة ، وان احنو عليك لحظات ، وان اصلي من اجلك كل مساء .

ولا تخشي يا عزيزتي ان تستمري سائرة ، بل امضي عالمة انك ستفرحين قلوباً وستؤلمين قلوباً طالما كان قلبك انت نابضاً بالحياة .

ولا تشفقي على دموعي بل اتركيني امتزج بها ، فما كان الفرح غايتنا ، بل جسراً يمهد عليه كل منا ماضياً في طريقه الممتد الى غير ما نهاية .

اذا كنت قد حرمتني الغناء لك فلا تحرميني الغناء للآخرين . والا فمن يغني لهم وهم يقبلون لاهين ، ومن يؤنس طريقهم وهم يعودون منفردين؟ فلئن حرمتني الغناء لك فلا تحرميني الغناء للآخرين .

واذا كنت قد حرمتني آمالي فلا تحرميني ذكرياتي . والا فمن يزور احلامي ، ومن يطوف بي في اماكن صباي ، ومن ذا الذي يشهد مبهوراً بكائي ؟ فلئن حرمتني آمالي فلا تحرميني اذن ذكرياتي .

واذا كنت قد حرمتني افراحي فلا تحرميني آلامي . والا فمن اين يرتوي قلبي ، ومن يندي عيني ، ومن ذا الذي يملأ علي وحدتي؟ فلئن حرمتني افراحي فلا تحرميني اذن آلامي .

واذا كنت قد حرمتني شروق الشمس فرجائي الا تحرميني غروبها ، فاراها وهي تغرق في خلال الغيوم المخملية ، واتمتع برهبة الكون حين يقبل عليه الظلام في ثقة وهدوء . فلئن حرمتني شروق الشمس فرجائي الا تحرميني غروبها .

واذا كنت قد حرمتني الحياة في فؤادك فلا تحرميني الحياة في ظلالك . ولا تسأليني ان اعود يا حبيبتي ضالاً ضائعاً مع النسيان ، لئلا اتجمد الى الابد في زاوية مظلمة من زوايا الصمت الرهيب .

القاهرة — يوسف الشاروني

وهي التي ناسها اذا انتسبوا — لم تاق في الناس فوقهم نسبا

لم تكب في حومة الجهاد ولكن — الزمان الذي امتطته كبـا

لم يستطع حمل مجدها ولو استطاعه عدّ صبره عجبا

من قام بالدين والبطولة والاخلاق والعلم وحده تعبا !!

كنت اطالع القصيدة في مكتبة عمومية فما كرّ الطرف على هذه الابيات الفخمة الساحرة واستقر على نهاية البيت الاخير حتى هببت من مجلسي مهللاً مكبراً وبحركة تلقائية سحبت المداد من « سياقي » وارتجلت هذا التعليق :

يا لك شعراً في الحسن منفرداً — فرحات فوق السهى به وثبا

لو نقشوه بالحبر في جبل — عادل اضعاف وزنه ذهبا

ينسي النواسيّ لو تنسّمه — اطيب ما في حياته شربا

ولو رأى احمد بلاغته — لاطعم النار جلّ ما كتبا

لا تطالبوا بعد سحره عجباً — أبطل فرحات بعده العجبا

كادس القديمة – البرازيل — الشاعر القروي

من روائع القصة المعاصرة

جيني وينغ

بقلم جلال فاروق الشريف

في عام ١٩٢٨ منحت جـائزة نوبل الادبية للكاتبة النورويجية سيغريد اوندسيت Sigrid Undset ويقول احد الناشرين الفرنسيين الذين تولوا نقل مؤلفاتها الى الفرنسية ، ان هذا العمل كان مفاجأة للجمهور الفرنسي الذي لم يكن يعرف شيئاً عنها في ذلك الحين ، غير ان شهرتها لم تلبث ان ذاعت فاطلع العالم على ما كتبته من قصص هي اروع انتاجها وفي مقدمتها قصة جيني Jenny وقصة كريستين Kristin

والذي رفع « سيغريد » الى مصاف كبار الادباء هو انهـا تناولت القصة كوسيلة لطرح مشكلة الانسان على بساط البحث ، فقد ارادت ان تنفذ الى الاعماق حيث يربض الانسان الحقيقي بعيداً عن كل ما طرح عليه من العادات والتقاليد ، وبحثت في امكان قيام اخلاق فردية ارادية بعيدة عن الدين وعن كل مـا ينشأ عن المجتمع ، وتساءلت قائلة : هـل يستطيع الانسان ان يكون اخلاقياً اذا هو تحرر من كل شيء ولم يستجب الا للنداء المتصاعد من اعماقه ؟ وهل لهذا القلق الذي ينضح به قلب الانسان ، من آخر اذا استجاب لندائه وسار في الطريق الذي يدفعه اليه ، وهل يستطيع الفرد ان يصل الى نتيجة ؟

لقد حاولت سيغريد في قصتها « جيني » التي نحن بصددهـا الآن ، ان تجيب على هذا السؤال ، ولقد كانت النهاية المفجعة التي آلت اليها بطلة القصة جيني ، خير دليل على الجواب الذي ردت به سيغريد على هذه المشكلة ولكن لا بد للمرء مع ذلك من ان يتساءل : هل احسنت سيغريد في الاجابة . ان فوزها بجائزة نوبل دليل واضح على حسن موقع الحل الذي تقدمت به في نفوس الذين حكموا لها بها ، كما ان تحول سيغريد عن مذهبها واعتناقهـا للمذهب الكاثوليكي رسمياً ، دليل آخر على اخلاصها لهذا الحل الذي تقدمت به وعرضته في قصصها ، وانه متجاوب مع اعماقها لانها ايقنت باستحالة التحرر والخلاص واعترفت بالعجز عن الهرب والفرار ، كما علمت باستحالة الصمود والثبات ، فكان لا بد لها عندئذ من الايمان ، والايمان الشديد ، وهذا ما فعلته في حياتها .

ان « روزمند ليهان » في قصتها « الرغام » التي عرضناها في عدد سابق ، لم تصل الى هذه النتيجة التي وصلت اليها « سيغريد » في هذه القصة . لقد كان الامر مختلفاً تماماً بل كان متناقضاً . ان « جوديت » بطلة « الرغام » سارت في الطريق حتى النهاية ان كانت تنتهي عند حد ، وتركناها في القصة وهي لا تزال تسير الى الامام وراء نداء الاعماق الذي لا ينتهي الا بانتهاء الحياة ، ولعل شباب « روزمند ليهان » وفتوتها وتفاؤلها عندما كتبت قصتها ، كل هذا هو الذي املى عليها هذه الاجابة القوية ، ولعل قوة سيغريد اوندسيت وعمق تفكيرها ونضوجها هو الذي فرض عليها هذا الحل الذي جاء منسجماً مع حياتها . وان الخير كل الخير قبل الاجـابة ، هو في طرح المشكلة ومعاناتها معاناة حقيقية بعيدة عن الزيف والاصطناع ولا شك ان معاناتها في الفكر او في الحياة خطوة انسانية جبارة .

***

هيلغ غرام Helge Gram شـاب نورويجي في السـادسة والعشرين من عمره قدم روما ليتم دراسته وليتابع بعض الابحاث التاريخية التي شرع فيها . ولقد حفل طريقه ليلة وصوله ، فالتقى بفتاتين فسألهما عن طريقه الى الفندق الذي يقيم فيه ، وعرفتا انه من النورويج مثلهما ، فشعرتا بالالفة نحوه ورافقتاه حتى موقف الترام الذي يقله الى حيث يقصد ، وهناك التقتا بصديقين لهما كانا على موعد معهما ، فتم التعارف في ارض الغربة بين خمسة من ابناء وطن واحد ، وهم : جيني وينغ Jenny Wing وفرنشسكا

... كانت قلقة ، ولكنه قلق ينبع من الصميم . لم تكن تبحث عن اللذة العابرة ولكنها تنتظر الحب العظيم الذي لا تستطيع الفرار منه . انها تريد الرجل الذي ينتزعها انتزاعاً فلا يترك موضعاً في روحها او جسدهـا الا ويلهبه بالنار . ولكن هل قادها هذا القلق الى شيء ؟

يارمان Fransiska Iahrmann وهيغن Heggen الرسام وآلن Ahlin النحات، ودعوا صديقهم الجديد « هيلغ » لقضاء الليل برفقتهم فقبل واجتمعوا معاً حول مائدة في احدى الحانات ثم غادروها الى اخرى لم يتركوها الا عند الفجر، وفي طريق عودتهم عرجوا على كنيسة ركعوا امام مذبحها خاشعين لا من شيء وانما من النعاس الذي امال رؤوسهم ولم يتفرقوا الا عندما استيقظت روما ، فانصرف هيغن وآلن مع فرنشسكا التي جرت نفسها الى سريرها جراً ، اما جيني فلم تشعر بالتعب او النعاس فانصرفت الى الغرفة التي جعلت منها شبه ستوديو تنجز فيه لوحاتها ، ودعت هيلغ الى مرافقتها ففعل وتناولا طعام الافطار ، ثم غادرها وقد تواعدا على اللقاء.

جيني فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها ، توفي ابوها وهي صغيرة ، وعاشت في كنف امها عدة سنوات ثم تزوجت هذه الام من مهندس اسمه « بورنر Berner » . ولم تكن تملك من المال الا القليل الذي جاءت تنفقه في روما ، وقد اشتهرت لها عدة لوحات رسمتها . وهي شقراء فارعة عليها سيماء الجد والرزانة ، صلبة قوية الارادة ، لم يخفق قلبها فلم تعرف الحب او تسترسل في علاقة او تتبذل في لهو او مرح . اما فرنشسكا فكانت على النقيض منها تماماً . سمراء فاتنة ، عصبية المزاج ، سريعة التأثر والانفعال تتجاذبها العواطف بسرعة . فترق وتلين او تقسو وتشتد، وكانت الى جانب كل هذا ، تبدو لنا من خلال سطور القصة ، تميل الى المرح الذي يصل الى حد الطيش والعبث ، مما اقلق اهلها ، فدار اللغط حول سلوكها وسمعتها ، فغادرت النورويج الى ايطاليا ، تنفق فيها المرتب الذي ارصده لها اهلها الاثرياء ، واقامت مع صديقتها جيني في روما بعد ان كان تعارفهما قد تم في معهد الفنون الذي تلقتا فيه الدراسة معاً . ولقد احبت فرنشسكا عدة مرات وكان آخرها هو تعلقها بالعازف على البيانو « هانس هيرمان » غير ان تلك الاواصر التي اشتدت بينهما وكادت تفضي الى الزواج ، لم تلبث ان انفصمت لانها لم تكن واثقة من حبه لها كل الثقة . فتزوج هانس ممثلة ورزق منها ولداً ، وفي الفصل الرابع من القسم الاول ، تصور لنا « سيغريد » حالة فرنشسكا النفسية وبكاءها وعويلها بين يدي جيني عندما بلغها نبأ الزواج والولد الذي رزقه حبيبها السابق . وكيف كانت تتمنى لو ان هذا الولد كان من لحمها ودمها .

كانت جيني بالنسبة لفرنشسكا اشبه بالام الرؤوم والشقيقة الكبرى التي تركن اليها عندما تنتابها الهموم فتفضي اليها بمتاعبها ومكنونات صدرها .

اما « هيلغ » فلم يكن شاباً عادياً . كان بعيداً عن الاحلام الرومانتيكية التي تطوف برأس الشباب، كما انه لم يعانِ الحب تجربة عميقة ، وكان الى جانب كل هذا خجلاً ضعيفاً منطوياً على نفسه ليست به تلك الجرأة المعهودة في الشباب ، ولقد اعجب بفرنشسكا في بدء التعارف غير ان شخصية جيني القوية الرزينة بدأت تغمره ، واحس كأنه الى جانب صدر رحيم شفيق يحميه ويسبغ عليه العطف ، فهو لم يعرف الراحة في حياته المنزلية لما بين والديه من النفور والشقاق الدائم ، وفي احدى النزهات الريفية بين هضاب روما وفي احضان الطبيعة ، كانت فرنشسكا بين ذراعي آلن تعاهده على الزواج والوفاء له ، بينما كان هيلغ بين يدي جيني ، لا يتقدم اليها ليضمها الى صدره بقوة ، بل كان خجلاً متردداً ، يستعطفها لتمنحه قبلة ، فاشفقت ومنحته ما اراد ، ولكنها كانت من الشفتين فقط .

كانت هذه القبلة رغم براءتها وبساطتها هي البداية الحقيقية للقصة لانها كانت نقطة التحول في حياة جيني . انها لم تعرف الحب من قبل ولم تذق طعم القبل ، ولقد ايقظت قبلة هذا الشاب الذي بدا لها غريراً ساذجاً كل ما كان غافياً في اعماقها وابتدأت تعاني المشكلة . اخذت تتأمل نفسها وتفكر في الحياة التي تحياها . لقد ادركت الثامنة والعشرين . انها فتية تتدفق الدماء حارة في عروقها، ولقد طال انتظارها لرجل احلامها الذي يضمها الى صدره فتشعر بين احضانه بالدفء والطمأنينة . لقد التقت بكثيرين ولكنها لم تظفر بضالتها . كانت تعلم انها لو تساهلت قليلاً في الشروط التي تتطلبها من الرجل الذي ستحبه لظفرت باي رجل منذ زمن بعيد ولكنها آثرت الانتظار .

كانت تريد الحب العظيم الذي لا تستطيع الفرار منه ، تريد الرجل الذي ينتزعها انتزاعاً فلا يترك موضعاً في روحها او جسدها الا ويلهبه بالنار . انها تعرف حق المعرفة اولئك الذين لا يبذلون الجهد لضبط غرائزهم الثائرة ؛ كما انها تعرف ذلك الصنف من الاتقياء المتزمتين، غير انها لم تكن من اي الفريقين . كانت تسعى نحو هدف تؤمن بوجوده كل الايمان ، غير ان هذا الايمان بدأ يتزعزع وبدأت تشك في قيمة الانتظار ، وفي الطريق الذي سلكته حتى الآن لبلوغ هدفها .

كانت طفولتها مجدبة قاحلة بعد وفاة ابيها ، وجاء زوج امها فانتزع منها هذه الام انتزاعاً، غير انها لم تلبث ان وجدت فيه الزميل الذي آنس طفولتها ورافق صباها وفتوتها بجدبه وعطفه وحنانه ،

ثم لم تلبث المنية ان انتزعته ايضاً كما انتزعت اباها من قبله فعادت جيني الى وحشتها السابقة. وفي المدرسة لم تستطع ان تظفر باي زميل لانها كانت تشعر بنفسها دائرة مغلقة بالنسبة للآخرين الذين يشكلون كتلة واحدة متجانسة بالنسبة اليها.

اما « هيغن » الرسام و « آلن » النحات فلم تتماكها نحوهما اية عاطفة خاصة ، غير انها بدأت تحس نحو « هيلغ » باشياء جديدة لم تألفها من قبل. انه لم يقتحم نفسها اقتحاماً ولم يثر فيها مشاعر عنيفة ، بل انساب رفيقاً هادئاً الى نفسها لقد ظنته غبياً في بادىء الامر ، غير انها وجدت فيه شباباً غضاً ووداعة ونقاء. لقد شعرت انها تكبره بكثير ، رغم ان الفرق بينهما لم يتجاوز السنتين ان في قلبها شيئاً . . من الحب نحوه. وهو بعد كل هذا ليس بخطر عليها ، انها تخشى الحب رغم انها تنتظره ، انها تخشى هذا المجهول غير انها عندما تفكر في « هيلغ » وفي لهجته الساذجة والسمات التي ترتسم على وجهه عندما يتحدث ، لا ترى فيه هذا الرجل المجهول الذي تخشاه. ولا تجد عنده اساليب الرجال . . . انه فتى وديع يانع ساحر.

***

تعدى الامر القبلة بعد ان عادا الى اللقاء ، وتجاوزه الى قبلات متبادلة وضم وعناق ، واخبرته انها تعتزم العودة الى النورويج فسألها ان تتزوجه فقبلت ، وطلب منها تحديد الموعد فتركته رهن ارادته فاطلعها على عزمه على استشارة والديه ، وسألها ان تذهب الى لقائهما والتعرف عليهما عند وصولها الى الوطن ، ومن ثم سيلحق بها ، وهناك يتزوجان.

وخلت لنفسها بعد ذهابه وفكرت في امرها ورأت انها قد قبلت حبه ومداعباته وبادلته القبل ولا بد لها من قبول كل ما يطلبه منها ، وخصيصاً ذلك الامر الذي لم تقدم عليه قط ، غير انها فرحت واغتبطت لانه اكتفى بما اكتفى ولم يتجاوزه الى غيره ، لا لانها لا تريد ان تسلم جسدها ، فهي في شوق الى تلك اللحظة ، بل لانها لن تسلمه الا في اللحظة المناسبة عندما تشعر بالرغبة العميقة تجتاحها وتعصف بكيانها. وامضيا اليوم الذي سبق رحيلها في نشوة وسعادة بين ضم وعناق وسألها ان يقضيا الليلة معاً فقبلت ، ولكنه عاد فعدل بعد ان اجابته الى طلبه ، وآثر التمهل والانتظار ، اما هي فعادت الى فراشها وحيدة تبلل الوسادة بدموعها كمن اقدم على امر عظيم. وآبت في اليوم التالي الى استوكهولم وبعد اسبوعين من وصولها ذهبت للتعرف على والدي «هيلغ» فالتقت بامه ولم تستطع ان تحبها بل شعرت نحوها بنفور شديد ، اما ابوه « غيرت Gert » فقد جاء لزيارتها في الاستوديو الذي ترسم فيه ، وبدا لها عندما قابلته شديد الشبه بابنه ، لطيفاً وديعاً ، لم تؤثر عليه السنون ، وكان الى جانب هذا ، فناناً له لوحات عديدة ، غير انه ظل مغموراً وانصرف عن الفن بعد زواجه.

وتوطدت بينها وبين «غيرت» معرفة وصداقة ، وزاد في توثيقها وتمتينها حبهما للفن وتحررهما من القيود الاجتماعية وخصيصاً القيد الديني ، وحدثها عن مأساة حياته ، وكيف اغوى ام هيلغ واضطر الى الزواج منها لا ايماناً منه بان كل علاقة بين الرجل والمرأة يجب ان تقوم على صلة شرعية فهو لا يقيم وزناً لهذه الاعتبارات ، وانما لان تلك التي اغواها كانت نقية بريئة النفس والجسد لا تعرف المكر والخديعة ، وقد احبته حباً حقيقياً. غير ان حياته معها لم تلبث ان استحالت جحيماً اضرمته هذه الزوجة بغيرتها الجنونية ، فهجر الفن وكل شيء محبب اليه ليحيا هذه الحياة الزوجية المنكدة التي لا يزال يقاسيها الى الآن.

واخيراً عاد هيلغ الى النورويج ، غير ان جيني لم تطق عشرة أمه ولم تحتمل جو البيت المكهرب المشحون بالغمز واللمز لما اثارته تلك الأم من الثرثرة عن علاقة جيني بزوجها « غيرت » فافترقت عن هيلغ بعد ان حاولت ان تتظاهر له بحبها ولم تفلح ، وعادت الى الاجتماع بابيه بعد سفره ، فشعرت في كنفه بالسعادة ، لانه استطاع ان يفهمها بعض الفهم ، لقد كانت تشفق عليه في اول الامر وترى فيه الفنان الذي حرم من فنه ، والرجل المعذب ، غير انه اسرها بقوة تفكيره ولباقته وعواطفه الحارة ، فاستسلمت اليه واصبحت عشيقته التي تتردد عليه.

ولم تلبث عندما عادت الى نفسها ان شعرت بانها قد بالغت في تقدير عواطفها نحوه ، وبأن هذه العلاقة لا يمكن ان تدوم لانه وهبها كل شيء ، بينما لم تستطع هي ان تهبه اي شيء. لقد اسبغ عليها عواطفه الملتهبة فانساقت في تيارها ، غير انها لا تكاد تغادره حتى تزول عنها النشوة وتحس ان تؤثر نفسها اضأل بكثير من حبه الجارف ، لذلك فهي لن تستطيع الاستمرار في علاقة لا تكافؤ فيها.

ان بينها وبينه اشياء مشتركة كثيرة ولكنها تتساءل لمَ لم يستطيعا تحقيق الانسجام التام بينهما ؟ انها لتحار في معرفة السبب وانها لتتساءل ، هل هو في ضعفها امام حيويته ، ام هو فرق في السن بينهما؟ لكنها لم تكن لتستطيع ابداً ان تركن الى امر او تجيب على سؤال.

اخيراً شعرت بالجنين يتحرك في احشائها ولكنها لم تجزع ، فهي تعتقد انها لم تأثم لانها اخلصت لنفسها ولم تندفع في علاقة لم

ترض عنها هي نفسها. ولئن كان هناك اي اثم في علاقتهما فهو لانها لم تعط من نفسها لعشيقها الا القليل الذي لم تقدر على اكثر منه إنها لم تأثم ولئن كان رأيها هذا سيصطدم بالمجتمع فانها ستسير رافعة الرأس وتحمل وزر جميع ما تؤمن به وتعتقد.

انها ستقطع كل صلة لها بـ « غيرت » وستغادر النورويج الى اي بلد آخر تربي فيه طفلها كما تفعل اية فتاة فقيرة ؛ ولن تخجل منه ان ما تشعر انها بحاجة اليه الآن ، ليس هو الحب، وانما العمل والعزلة التي تبعدها عن الجميع. انهذه الشهور من حياتها لن تنمحي من مخيلتها وستظل تذكر هذا الدرس القاسي وهو انها لم تعط الا القليل في حين ان الكثيرات عندما يهبن اجسادهن ، يعتقدن انهن قد وهبن كل شيء. الزمن سيمر وسيحيل كل شيء الى ذكرى حلوة هادئة تكون خير عزاء وسعادة لها.

***

وتعقد جيني العزم على مغادرة النورويج الى اي بلد آخر لتضع ولدها ، وقبيل رحيلها تلتقي باثنين: احدهما صديقتها فرنشسكا التي تزوجت من آلن النحات، فتحدثها هذه الصديقة عن قصة الزواج الذي لم تقدم عليه الا فراراً من محبها هانس هيرمان. فهي تخشى ان تستسلم له في ساعة ضعف فتنحدر الى الهاوية. لقد نفرت من زوجها في بادىء الامر ، غير انها لم تلبث ان احبته وذهبت اليه طائعة مختارة في احدى الليالي واسلمته نفسها. ثم حدثتها فرنشسكا ايضاً عن مقاومتها لاغراء عاشقها هانس هيرمان الذي قدم اليها بعدزواجها وطلاقه من زوجته، وطلب منها ان تعاشره فيتمتعان بالحب الذي حرما منه، ولكنها رغم ذلك الحب القديم الذي لا تزال جذوته في قلبها ، قد رفضت ان تدنس اسم الرجل الذي تحمله.

اما الثاني الذي التقت به جيني قبيل سفرها فهو «غيرت» الذي ارتاع عندما علم بعزمها على الرحيل وازداد خوفه وجزعه عندما ادرك انها حامل، فعرض عليها ان تتزوجه فقد طلق زوجته ام هيلغ وهو لا يبغي من وراء هذا الزواج الا صيانتها من سخط المجتمع وحفظ مستقبل الطفل ، غير انها رفضت كل هذا، واكدت له انها لن تخجل من مولودها ، وان اجمل ساعات السعادة هي تلك التي قضتها معه ، غير انها لن تستطيع الاستمرار لانها لا تحمل له الحب الكافي لربط مصيرها بمصيره.

وتصل جيني الى كوبنهاغن ومنها تتصل بصديقها « هيغن » وتخبره بحقيقة امرها فيرشدها الى مكان هادىء في المانيا ، فتستقر فيه بانتظار ساعة الوضع، ويزورها هيغن بين الحين والآخر ويروح عن نفسها عناء الوحدة والانتظار، كما يزورها « غيرت » ايضاً، وعندما تحين الساعة المرتقبة تضع طفلها غير انه لا يعيش غير عدة اسابيع ، فتصاب بصدمة من جراء وفاته فتظل طريحة الفراش ثم تتماثل للشفاء غير انها تظل مقيمة في مكانها لا تبرحه ، فذكرى صغيرها تعذبها وتقلقها فلا تستطيع ان ترسم او تُنجز اي عمل. لقد كان هذا الوليد هدفها في الحياة بعد ان لم يكن لها هدف ، غير انه مات فعادت الى الحياة فلم تدر ما تفعل بها. وتغادر المانيا الى ايطاليا حيث تلتقي بـ « هيغن » وببعض الفنانين فتحاول ان تزج نفسها في غمارهم كالغريق بين الامواج ، ويظل هيغن الى جانبها يرعاها ويحافظ عليها حتى لا تضيع في غمار الحياة الصاخبة. ويكاشفها في احدى الليالي بحبه ويطلب منها ان تتزوجه ولكنها ترفض طلبه ويلحف عليها في الطلب ولكنها تستمر في الرفض لانها لن ترتكب اثماً جديداً بارتباطها بمن لا تشعر نحوه بالحب المطلق. ويتوسل اليها ان يقضيا الليلة معاً غير انها ترفض لانها لا تهب نفسها الا لمن تحبه وهو واحد فقط.

وفي اليوم الثاني تلمح « هيلغ » وتخشى لقاءه ، وتنفرد بنفسها في المساء وتستعرض حياتها، تفكر في الماضي وتتمنى الخلاص من شبحه المرعب الذي يخيم عليها ولا تلمح بصيص الامل الا في هيغن الذي سيحررها، ففي حبه ستحاول ان تكفر عن الماضي وتبدأ حياة جديدة.

وتسمع وقع خطوات تقترب من غرفتها ، وتفكر في امرها، لو كان هيغن هو القادم فستبدأ حياتها الجديدة اما لو كان هيلغ فسيعود الماضي المريع ليغمرها من جديد.

كان هيلغ هو القادم ، فدخل الغرفة وتوسل اليها ان تعود اليه وتعيد ما انقطع بينهما. فترفض، ويمعن في الرجاء والالحاح ولكنها تمعن في الاباء والرفض ، فتثور ثائرته وينهال عليها ضماً وتقبيلاً ، وتحاول المقاومة ولكنها تفشل فتستسلم ويغادرها في الصباح، ولا تكاد تثوب الى رشدها حتى تفصد عروق يدها وتظل في فراشها تودع الحياة حتى النهاية.

هذه هي الخطوط الكبرى للقصة التي تضمها اربعمائة صفحة، ولعل اول ما يلحظ عليها من حيث الاسلوب ان سيغريد اوندسيت لم تعتن او تهتم بطريقة سردها التي كثيراً ما تكون جافة ، غير ان تلك الروح الرائعة والحماسة اللاهبة التي افرغتها المؤلفة على ابطال القصة ، جعلت منها اثراً ادبياً عالياً يرفع القارىء الى مستوى رفيع من النبل والانفعالات الصادقة.

والقصة تبدأ بـ «هيلغ» ويخيل الينا في بادىء الامر انه سيشغل دوراً هاماً فيها ، غير انه في الحقيقة اقل ابطالها شأناً. انه لم يكن

سمو

للشاعر شارل بودلير

☆

فوق المستنقعات ، والاودية ، والجبال
فوق الأحراج ، والغيوم والبحار ،
وراء الشمس ، فوق الاثير
وخارج حدود عوالم النجوم ،

ايتها الروح تتحركين بخفة ،
وكسباح بارع ينتعش في الموج
تشقين مرحة اللانهاية العميقة
بلذة قوية يعجز وصفها .

حلقي بعيداً عن هذه الابخرة المنتنة الوبيلة ،
وتطهري في الاجواء العالية ،
واشربي كشراب طاهر الهي ،
النار النقية التي تملأ الاجواء الصافية .

ما وراء العلل والاحزان الواسعة
التي تثقل بوطأتها الحياة المظلمة ،
سعيد من يستطيع باجنحة قوية
ان يثب نحو الحقول المضيئة الرائعة

ذلك الذي افكاره كالقبرات
تنطلق في الصباح بحرية نحو السماوات
سعيد من يحوم فوق الحياة ويفهم دون جهد
لغة الازهار والاشياء الخرساء !

حلب — ترجمة مختار الكبالي

غير بدء التجربة التي بدأت بها جيني ، وكان الى جانب هذا ايضاً، الخطوة الاخيرة فيها . اما ابوه « غيرت » فيمثل الرجل الذي عانى التجارب القاسية قبل ان تكون له نظرته الخاصة الى الحياة . انه فنان متحرر من كل شيء ، ولكنه اخطأ ، فقد اغوى ام هيلغ . والخطيئة ليست في الاغواء نفسه ، وانما في عدم اخلاصه لانه لم يكن يحبها ، لذلك كان عليه ان يكفر كل حياته عن هذه الخطيئة فضحى بفنه وشبابه ، وعندما احب جيني كان مخلصاً في عاطفته لانها المثل الذي كان يصبو اليه ، فطلق زوجته ليتخلص من آثار خطيئته الاولى ويبني حياة جديدة ولكن الاوان قد فات .

وهناك ايضاً فرنشسكا التي تبحث بحرارة عن الحب . لقد وجدته في هانس هيرمان غير ان الشك في حبه لها كان يراودها دائماً لذلك لم تسلم نفسها له ولم تتزوجه . وخشيت من الخطيئة ، اي ان تقوم بينهما علاقة فلا يخلص لها ، ولذلك فرت منها الى الزواج من « آلن » ولم تسلم نفسها لزوجها في بادىء الامر لانها لا تحبه ، كما انها رفضت من جديد ان تدخل في علاقة مع « هانس » لان زواجها رتب عليها مسؤولية جديدة تجاه رجل لم يجن ذنباً . بل احبها مخلصاً ، فكان لا بد لها وقد ارتبطت به من ان تمنحه كل ما تستطيع منحه وهكذا حتى تمرست على حبه وعشرته .

اما جيني فهي الصورة الرائعة التي رسمتها « سيغريد اوندست » لقد صورتها لنا فتاة ممعنة في فرديتها . قوية الارادة ، مؤمنة بالاخلاص وبوحدانية الجسد والروح التي لا يمكن فصلها . كان هدفها هو الحب العظيم الذي لا تستحي منه المرأة او يستحي منه اي فنان . وعندما برز لها هيلغ بدأت تخوض التجربة ، وعندما ايقنت من خطأ الطريق الذي سلكته ارتدت الى غيره لتبحث عن الحب الذي نشدته فالتقت بابيه ، وبهرتها حيويته ونضجه واشفقت عليه لما بدا لها من مأساته ، وعندما افاقت وجدت نفسها قد ضلت الطريق ايضاً بعد ان سارت فيها شوطاً بعيداً . واصبح هدفها هو طفلها ، وعندما ذهب لم تدر ما تصنع ودب اليها اليأس وحاولت ان تلقي نفسها في غمار الحياة يائسة لا مبالية ، غير ان هيفن برز لها وحاول ان يعيد اليها ثقتها بالحياة . وتراءى لها شبح الماضي من جديد عندما لمحت هيلغ فارادت ان تفر منه الى هيفن وناضلت لتظفر بحياة جديدة ولكن ظمأ هيلغ كان اقوى منها فاعادها الى عباب الماضي ، ولقد دافعت عن نفسها غير ان الماضي تغلب فخسرت روحها وجسدها ، فكان لا بد لها من ان تخسر بالتالي حياتها على الارض .

اللاذقية — جلال فاروق الشريف



صفحة من حياة كبار الفنانين

ترجمها عن الايطالية بتصرف : سليم شريف

●

من اعظم العبقريات التي عاصرت جوته وبتهوفن وشللر وسواهم وقدمت خدمات جليلة في تنبيه الافكار من جو الكلاسيكية الميت الى جو الرومانتيكية الحي، الموسيقي النابغة (ويبر) مؤسس الموسيقى الرومانتيكية ومبدعها .

ولد شارل ماريا دي ويبر Weeber في مدينة أتين Eutin من مقاطعة هولستاين Holstein بألمانيا في الثامن عشر من كانون الاول ١٧٨٦ من اسرة عريقة في النبل والشرف . ومنذ طفولته بدأ دراسته الموسيقية تحت اشراف الاب فوجلر Vogler الذي وجدفيه نبوغاً مبكراً جعله يهتم به كثيراً دون سائر تلامذته .

تأثر ويبر منذ حداثته بالحان هايدن وموتزارت ولكنه لم يلبث طويلاً حتى عافت نفسه جوهما الكلاسيكي التقليدي وقد سيطرت على عقله فكرة التخلص من التقليد والابقاء على القديم، وخامرته افكار الابداع والتجديد . ومما ساعده في تفكيره البعيد هذا نصائح استاذه فوجلر والحان الموسيقار العالمي بتهوفن الذي كان همزة الوصل بين الكلاسيكية والرومانتيكية .

على ان بتهوفن لم يكن الوحيد الذي اثر عليه فصديقه مايربر Meyerbeer الذي كان من عامة الشعب والذي كان يصرح له دائماً بآرائه الشعبية الحرة فيرتادان معاً منتديات الفلاحين وحانات الصيادين فيستمعان الى احاديثهم المفعمة بالاسى ، واهازيجهم المليئة بالبهجة واناشيدهم الممتلئة قوة وحياة فيتردد هذا ويتجاوب في نفسيهما .

وانطفأت في نفس كارل احلامه ورغباته التي اراد تحقيقها عن طريق الموسيقى حين وجد ان مؤلفاته لم تحد عن طريق الكلاسيكية المقيتة الى نفسه ، فهجر التأليف وانكب على مؤلفات الكتاب المشهورين كجوته وغيره يشبع شغاف قلبه منها ، ويغذي عقله المضطرب بثمارها حتى سيطرت على حواسه ففارقه مرحه المأثور عنه واصبح ساكناً هادئاً . . وتغيرت اخلاقه ، فانحدر الى الاوساط الشعبية فزاده ما لمسه من بؤسهم ألماً ومن شقائهم شفقة وانتابته موجة من افكار المؤلفات التي قرأها والتي غرست فيه البذور الطيبة فأخذ يحس بأنه يضع الحاناً لا عهد له بها . . الحاناً لا تمت الى ما يكره بصلة . لقد بدأ يخط افكاره الموسيقية . افكاره التي ابت ان تطاوعه في الماضي . . ذلك الماضي البعيد حين مزق نتاجه الموسيقي .

وبدأ حياته الفنية المرة الاولى فعزف في البيوتات الكبيرة والمسارح ودور النبلاء على البيانوفورت Piano fort مستعيضاً به عن الارغن لاول مرة في تاريخ الموسيقى فنجح نجاحاً عظيما واحدث انقلاباً هائلاً في استعمال آلات الطرب ، وبعمله هذا قضى على آخر مجد للارغن وانتصر انتصاره الموسيقي الاول فكان اول من عزف على البيانوفورت، ومن ثم سار في ركابه سائر الموسيقيين حتى بتهوفن نفسه واليه يعزى الفضل الاكبر بفصل البيانو عن الارغن .

وساعده هذا النجاح فقذف الجمهور بأنغام والحان كان نصيبها

الفشل لصعوبة فهمها ودقة تحليلها فاضطر كما فعل واجنر Wagner من بعده بطريقة ثانية ان ينحدر الى طبقة ادراك وفهم الشعب وان يقودهم من هناك الى ما يروم ويبغي وبهذا العمل وضع الحجر الاساسي في صرح بناء المدرستين الالمانية والافرنسية في الموسيقى الرومانتيكية.

وعافت نفسه بيئته الراقية فانطلق الى تلك الاوساط التي نبهت افكاره الخامدة فهجر منزله وقطن وحيداً يعيش من وراء موسيقاه ومؤلفاته التي لقيت بعض النجاح لوحدة انغامها وانسجام اصواتها وعذوبة الحانها ولوضوح فكرتها فبلغ بذلك من الشهرة اقصاها ولموسيقاه الاسبقية في النجاح، وفجأة سيطر عليه ركود كلي اذ انهمك من جديد في قراءة نتاج الكتاب والمفكرين واستمر سنوات في ذلك يقرأ كل شيء الى ان القى بثروة نتاجه الفني فأحدث ضجة وثورة في صفوف النقاد والموسيقيين.

اوبرا فرايشت Der Freischütz

ان الملحنة (السيمفوني) اي تأليف الانغام بعضها مع بعض هي اولى الاشياء الجليلة والشيقة والتي تميل اليها الشعوب في اقطار الدنيا. والملحنة هي تحليل مدهش لافكار وغايات المؤلف ويراعى في ذلك ظروف تأليفها وموضوعها. والاوبرا — المسرحية الغنائية — هي في الواقع تحليل واضح لا يحتاج الى اجهاد ذهن في استنباط ما يريده المؤلف لان ذلك مكتشف من القصائد الشعرية المغناة والتي يكشف عنها المسرح غالباً.

مما هو جدير بالذكر عن موسيقى هذا العبقري الفذ اوبراه الخالدة الفرايشت التي استوحاها من محافل الشعب ومنتديات الصيادين وهذه المسرحية العادية في تكوينها تتألف من فصول اربعة وتتكون من قصائد وقصة الفرايشت المنقولة عن الشاعر كيند Kind الذي انتهى من تأليفها في برلين عام ١٨٢١، ان ويبر دفع للشاعر كيند ثمناً لكتابه هذا ثلاثين تالري —[١] Talleri غير ان هذا السعر ارتفع الى ستين تالري بعد عرضها مسرحياً غنائياً.

وحين عرضت للمرة الاولى اقامت المانيا واقعدتها فهي منتزعة من صميم الشعب الالماني ومقدمة اليه. واضطر ويبر من شدة الاقبال على نشر مختصر موسيقي لهذه المسرحية فأدى ظهور هذه النشرة الى اثارة سخط واستياء الحسودين وازدراء المتدلين من النقاد والموسيقيين لانتصار الرجل الذي يتزعم آلة (البيانو) والذي يقودها من نصر الى آخر.

ان هذه الاوبرا التي استوحاها مؤلفها من محافل الصيادين ومنتدياتهم والتي لها من العمر قرناً من الزمن كانت وما زالت انموذجاً لوحي ابطال الفن من المدرستين الالمانية والافرنسية امثال مايربر وجونو وغيرهما، فتوجوا الفن بروائع الاعجاز من القصائد البديعة والكتب النفيسة كروبرتو الشيطان وفاوست وغيرهما. كما ان الموسيقار ريتشارد واغنر الذي اوجد فلسفة القوة في الموسيقى قد استوحى من تلك الصفحات الخالدة اكثر مسرحياته الغنائية الخرافية الشيقة. بيد ان ويبر كان مبدعاً وواغنر كان مقلداً لذاك الذي صنع ابداعاً اعجازياً.

ان قصة الصياد الاسود الالمانية... هذه القصة مع اضواء القمر واسرار الاحراش وقصائد الفرايشت وظهور العذراء البيضاء بشعرها المتجعد وغناء الصيادين العائدين من الغابة قد اعطت لويبر المساعدة الكافية للاستلهام والوحي في وضعه لموسيقاها.

وفي الحقيقة ان مسرحية الفرايشت ما هي الا تأليف الماني عظيم، والذي يجهل الطبيعة والميول المستورة للطبيعة الالمانية والتي هي غامضة غموضاً غير طبيعي وهي اكثر منه واقعي، الذي يجهل هذا كله ما عليه الا ان يستمع او ان يشاهد تمثيل هذه المسرحية المدهشة فيصل حينئذ الى حقيقة الطبيعة الالمانية.

ان الظاهرة الاولى التي نلاحظها في الفصل الاول من هذه الاوبرا والتي تسترعي الانتباه وتطرق الاسماع هي في ذلك الهجوم المفاجئ في الحادثة وانسجام الاصوات التي تغني وتردد.

لم ماكس لا يحترم الشرف ولم لايؤدي للمنتصر.

اما مقدمة الفصل الثاني التي تبدأ بذينك الصوتين المزدوجين المختلفين التائهين في غياهب الماضي فهما في الحقيقة من اجل وألطف الانغام المخترعة. انهما يعيدان للاذهان ويذكران المستمع والمشاهد بموتزارت وفلوتوا.

اما القسم الرائع فهو ذلك المقطع الذي يؤلف الشطر الثاني من الفصل الثاني فيشرح القصة بجميع الوانها الحساسة ويقودهم تواً الى اهازيج وأناشيد جماعة الصيادين[٢] التي هي عنصر المسرحية الاساسي. وفصل الصيد هذا مشهور في المانيا فهو بالنسبة اليها كالوريد والشريان بالنسبة للجسد.

ان هذه الاوبرا الخالدة في تاريخ الموسيقى. هذه الاوبرا التي جعلت الشاعر والكاتب دى لنز De Lenz يقول ويفصل في كتابه المسمى بتهوفن واساليبه الثلاث Beethoven et Ses Trois Styles

(١) التالري نوع من انواع النقد الالماني، وتعادل الخمسة قروش تقريباً.

(٢) كان الشعب الالماني يعيش قديماً على فصل الصيد وهو يستمر ثلاثة او اربعة اشهر تقريباً.

نجوى

عن الشاعر الانكليزي جون دونه

☆

لا تنهضي! فالفجر لم يلح — هذا ضياء جمالك المرح!
لا تحسبي الخفقات من كبدي — لجب النهار وضجة الصبح!
هذا الفؤاد يضج منتفضاً — خوف الفراق، كعرق مذبح
ظلي، ليبدو الفجر، نائمة — كي لا يموت بمهده فرحي!

يا موت

عن الشاعر الايطالي بترارك

☆

يا موت حجبك «لور» عن نظري اصمى الفؤاد ففاض بالعبر
غيبتها.. فالورد منتحر — والافق اضحى قاتم الصور!
غيبت انساناً كان منتشراً — وفضيلة انقى من الزهر!

ان السفوح ووهج زرقتها وشذا الحقول، وخضرة الشجر
لما خلت من وجه «لور» غدت صحراء تندب دية المطر!

مرت وهذا الكون يجهلها — حتى غدت في عالم الذكر
وعرفتها وحدي، لاعبدها — وحدي وقد خفيت عن البشر
الا السماء فانها سعدت — وتزينت بكيانها المطر!

فؤاد الخش

اوبرا فرايشست عن كل تأليف موسيقي آخر لانها أي اوبرا فرايشست خلقت ووجدت لالمانيا وحدها وليس للعالم فهو يقول ما معناه ان اوبرا فرايشست ليست بدفتر موسيقي لانها المانيا بأسرها.

***

لقد مثلت هذه المسرحية لاول مرة سنة ١٨٢١ واستمر عرضها في برلين حتى سنة ١٨٢٣ واعطت، بعد عرضها خمسين تمثيلاً، ربحاً قدره ستة وثلاثون الف تالير ارسل منه مدير المسرح بروخل Brühll في ذات السنة مائة تالير لقاء حقوق النشر والتأليف.

ان ضآلة هذا المبلغ جرحت شعور ويبر واثرت فيه تأثيراً سيئاً فأبدى استياءه البالغ بقوله المشهور حين هجر المانيا الى انكلترا ليس من الضروري ان يؤلف لالمانيا.

***

قليلون جداً الذين يعرفون شيئاً عن ثروة ويبر الموسيقية وطابعها الفني المعبر عن قوة الالحان والابتكارات والنواحي الفنية سواء منها الموسيقى المنسجمة انسجاماً كلياً او العذبة البالغة حد الروعة. وتلاحظ رومانتيكيته الطليقة في قطعته الرائعة سوناتا لا بيمول Sonata La Bemolle المهداة الى لوسكا Lauska وكلاسيكيته الخصيبة في معزوفة دعوة الى رقص الفالز Invitation à la Valse وله مؤلفات اخرى رومانتيكية رائعة تقود الى جو شعري خيالي كبريسيوزا Preziosa والاوريانت L'Euryante وهذه الاخيرة ألفها خصيصاً لمدينة فينا عام ١٨٢٣ ومن مؤلفاته العذبة أبو غسان L'Abu Ossant وسيلفانا Silvana وروبيذهل Rübezahl.

وشهد في — لوندره — بام عينه تجربة عزفه الناجح. وساعده ما لقيه من الشعب البريطاني من التشجيع فكانت مسرحيته كوفن كاردن Covent Gorden اولى مسرحياته التي الفها في بريطانيا ثم اعقبها بمسرحيته الاخيرة اوبيرون Oberon وهي من كلمات بلانشه Planche بيد ان من جميع قطعه هذه لم تنل شهرة مثلما نالته اوبرا الفرايشست من سمعة شعبية وشهرة مدوية في جميع انحاء العالم.

اخترم الموت ويبر عام ١٨٢٦ في انكلترا في دار السر جورج سمارت في جوريت بورتلند ستريت وبعد وفاته خصص ريع الحفلة التاسعة والتسعين لاوبراه الشعبية الخالدة الفرايشست للورثة وفي الواحد والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٤٠ كانت مسرحيته المذكورة تمثل المرة المائتين في برلين. وحين ذاك قرر الملك غليوم الرابع — ان يدفع لابن(٣) المؤلف الذي كان يدرس في جامعة برلين مبلغاً قدره مائة (تالير) ذهباً كمساعدة له في متابعة تحصيله.

وهكذا يسدل الستار دوماً عن العبقريات الخالدة في التاريخ بتقديرها بعد وفاتها بزمن بعيد.

دمشق — صميم شريف

(٣) ان حياة ويبر الغرامية غامضة ويقال انه تزوج الامرأة التي احبها.

اصل كلمة « الناس »

من الالفاظ التي لم يوفق ايضاً* في تأصيلها العلامة الكرملي هي لفظة « الناس ». وقد وقعنا في معجمه « المساعد »، في شان تحقيقها، على ما يأتي بحرفه، في المادة المبتدئة بالنون .

قال رحمه الله : « الناس كلمة تنظر الى Natio (اللاتينية) اي شعب وامة وقبيلة وهي من Nescor اي وُلد ونشأ . »

فننتهز الفرصة لوضع النبذة التالية في اصل الكلمة واشتقاقها. فنبدأ ، منكرين كونها من اللاتينية ، او ان لها ادنى علاقة باللفظة Natio . لان هذه المفردة «ناس» هي عربية ، لا بل سامية لورودها في الالسن العربية، والسريانية، والعبرية، والاكدية، والارمية، والتدمرية، والنبطية ، والفينيقية ، والسبئية . ودونك التفصيل .

العربية — « الناس » اصلها الاناس ، خففت حين دخلت عليها ال التعريف، فاصبحت الناس . والاناس جمع إنس، اي البشر . ومثلها « الانسان » : البشر ، أو آدم وذريته ، للذكر والانثى . الانس ايضاً : الصفي والاليف والحليف . والفعل منه أنس به : ألفه، وسكن قلبه به، ولم ينفر منه . والانيس المؤالف .

السريانية — Nâsh و Nâshâ : انسان ، رجل . وجمع Nâshâ هو Nâshîn : ناس، رجال، اقارب، عائلة ، عشيرة . وفي هذه اللغة ليس المادة فعل مجرد . لكن فيها المزيد على وزن فعّل . فيقال Annèsh : أنّس ، جعله انساناً . العبرية — Enôch : انسان ، رجل، شخص . Anâshîm : أناس، ناس ، رجال ، بشر . والفعل من هذه المادة ânash : مرض ، سقم ، انس ، كان أليفاً .

الاكدية — Anâshu : نحف، هزل، ضعف تضعضع . Nîshu : ناس . Tenishtu : البشرية ، الجنس البشري .

الارمية — Enash . النبطية Anush . التدمرية Anash . السبئية Anas . ولكلها معنى الانسان والناس .

العربية : نسّ : يبس — نسنس : ضعف . السريانية Nas : نسنس ، ضعف، سقم . Nasîsâ : نحيف ، ضعيف ، سقيم .

العبرية Nâsas : مرض، سقم . الاكدية Nasasu بكى، نحب.

تنسيق وتعليل

١) السين والشين تتناوبان في الساميات . على الغالب السين في العربية يقابلها شين في السريانية ، والعبرية ، والاكدية . واحياناً يثبت الحرف عينه في جميعها .

٢) الاصل الثاني لهذه المادة الثلاثية المبتدئة بالهمزة هو « نس » الدال على النحافة ، ثم على الضعف ، ثم المرض ، ثم السقم . ومن الضعف ، والسقم ينتج ادبياً الحزن ، لا بل البكاء والنحيب .

٣) وهذه فكرة النحافة الاصلية ، البدنية ، الناجم عنها احياناً الضعف والسقم ، قد توسعت في الثلاثي المشتق بزيادة الهمزة تدريجاً على الثنائي « نس » فانتقلت الى فكرة النحافة الادبية والخلقية والاجتماعية ، اي الرقة ، واللطف ، والدماثة ، او حسن المعاشرة والمؤنسة . وكلها خواص الحياة الاجتماعية . من ذلك ورد في العربية أنس به : الفه ، وسكن قلبه به . والانيس المؤالف . والانس : البشاشة واللطافة . ٤) فاسم الانسان ، او الانس ، او الناس جاء اولاً من الثنائي « نس » الدال على النحافة المادية البدنية . ثم انتقل في الثلاثي « أنس » الى النحافة الخلقية في المجتمع ، اي الرقة والدماثة في المصاحبة والمعاشرة . وهي تسمية تطلق على البشر بالنسبة الى حياتهم الاجتماعية ، اي بصفتهم جماعة من شأنها الالفة والمؤانسة والاخلاق اللطيفة . ٥) واذ كانت النساء أنحف وأضعف من الرجال ، وكانت صفاتهن الاجتماعية أرق ، وألطف — ولهذا دعين الجنس اللطيف — اطلق عليهن الاسماء الدالة على هذه الخاصة ، في اللغات السامية . من ذلك في العربية كلمة « النساء » ، فهي صادرة عن الثنائي « نس » المراد به النحافة والضعف . وكذا الحال في الساميات الباقية . ففي السريانية تدعى المرأة Attâ او Antâ . ويقابلها في العربية كلمة « أنثى » الدالة على الشق الضعيف . وفي العبرية Ishoha . وفي الحبشية Anset . وفي الاكدية Ashshâtu . وفي الارمية Ittâ . وفي التدمرية والنبطية Intetâ وفي الفينيقية Eshohât .

وانت ترى ان هذه المفردة مطلقة على البشر لكونهم خلائق أليفة من شأنها الانس واللطف في الحياة الاجتماعية ، كما تقدم . وهي من الالفاظ الاولية الضرورية الوضع من بدء المجتمع الانساني عند الشعوب قاطبة . وكذلك عند سائر الاقوام السامية فهي من أقدم الكلمات في لغاتهم كلها . وهذه اللفظة المرسومة بالطابع السامي القديم قد أبى العلامة الكرملي الا ان تكون في نظره اجنبية آتية من Natio اللاتينية . كما توهم ايضاً بان « العالم » لفظة مأخوذة من

* راجع « الاديب » عدد شباط ١٩٦٩ .

وحدة الحضارة الاوربية

بقلم عبد الكريم المحود

☆

لم تخض اوربا معركة حربية حاسمة مات فيها ملايين الناس من الجنود المسلحة والمدنيين فحسب ، بل خاضت ولا تزال تخوض معركة المستقبل التي لا تقل في شدتها وقسوتها عن المعركة الحربية . فاوربا اليوم وهي تحتل المنزلة الاولى بين قارات العالم ، تجابه مستقبل حضارتها مجابهة فيها النظر الى الماضي وما اتجه لها من قيم ، وفيها النظر الى المستقبل وما يحمله اليها من اعباء جسيمة ونظم جديدة في الاقتصاد والسياسة وما هذه المجابهة بوليدة هذه الحرب فحسب بل كانت وليدة القرن التاسع عشر عندما خرجت اوروبا عن حدودها الطبيعية وسيطرت على بعض شعوب القارات الاخرى ، وشاهدت ما هنالك من تباين فكري واقتصادي بينها وبين هذه الشعوب . ولكن هذا الوعي للحضارة الاوربية وقيمتها قد ازداد بظهور الماركسية عمليا في روسيا وتجسد الفلسفة العنصرية النازية في المانيا . فهاتان الظاهرتان التاريخيتان في حضارة اوربا المعاصرة قد حملتا بعض قادة العقل على التفكير في اسس الحضارة الاوربية وتطوراتها وفيما اذا كانت قد خرجت عن مجراها التاريخي بظهور هاتين الظاهرتين .

يعتقد رجال الفكر المعاصر ، ومنهم « فريدمان » و« ياجست » واساتذة اكسفورد وكمبردج بصورة عامة ، ان الحضارة الاوربية قد خرجت عن تقاليدها الفكرية الموروثة عن اليونان والرومان والآباء القديسين بظهور الفلسفة الماركسية والعنصرية . وان لا سبيل لانقاذ اوربا من الهاوية التي تنقاد اليها الا بالرجوع الى الاسس القديمة التي ورثتها اوربا ، والتمسك بها الى الحد الذي يتفق ومقتضيات ما اكتشفته العلوم في نواحي الاقتصاد والاجتماع البشري ، ولكن ما معنى هذه الحضارة الاوروبية المتراكمة التي ينادي المفكرون بالرجوع اليها وما هي هذه الوحدة التي يرونها فيها ، وما هي اسسها وقيمتها النهائية ؟

يرى المفكرون المعاصرون ان الحضارة الاوربية في تاريخها المتراكم ، ليست الا عقلا ومسيحاً وفاعلية مستمرة مدفوعة بايمان في هذه الحياة ، وتتجسد في مشاريع اقتصادية تبنى على ما توصل اليه العقل من اكتشافات في العلوم ، ويضيفون الى ذلك ان هذه المقومات قد حملها مبدأ التقدم والتطور دون ان يزج بها في اتجاهات خارجة عن مجراها التاريخي ، وان اوربا ، لا شك هالكة اذا ما ارادت الخروج عن تاريخها وتقاليده الموروثة .

على ان هذه المقومات للحضارة الاوربية تكوّن في نظر هؤلاء المفكرين القاسم المشترك الاعظم والوحدة في التفكير لكل مجهود قامت به اوربا في تاريخها . وهذا الاعتقاد من جانبهم قد بني على وحدة المشكلات الفكرية والاجتماعية التي تناولها رجال الفكر الاوروبي في النظر والبحث ، دون الرجوع الى الحلول النهائية التي تقدموا بها . قد تكون اوربا وحدة في بحثها للقضايا الكلية في حياة الانسان : كالله والخير والشر والمعرفة والموضوعية والذاتية والجمال والقبح والحق والباطل ولكن لا يمكن اعتبارها وحدة بالمعنى المقصود من فكرة الوحدة اذا ما نظرنا الى الحلول التي توصل اليها رجال الفكر في بحثهم لهذه القضايا ، لان الوحدة التي يقولون بها يجب ان يبحث عنها في جزئيات المشكلات التي بحثوا فيها وليس في كلياتها . ومثلهم من هذه الناحية كمثل من وضع اهمية كبرى على كلمة (حيوان) في تعريف الانسان « كحيوان عاقل » وغفل

Cosmos اليونانية . وان « العقل » معرب عن Oculus اللاتينية .

بيد ان هـذا لا يصدنا من احترام ذكره ، واكبار علمه ، وتقدير جليل خدمـاته للغة العربية ، واعراب التمني ان ينشر معجمه النفيس . ان لكل عالم هفوة كما لكل جواد كبوة .

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

عن اهمية كلمة عاقل مع ان مقتضيات المعرفة الايجابية تستلزم وضع الاهمية الكبرى على كلمة عاقل ، لانها هي الحد الفاصل بين هذا الكائن وبين الكائنات الاخرى .

ليست القضية ان نقول بوحدة الحضارة الاوربية مستندين بذلك على القضايا الكلية التي اشتركت في بحثها جميع الشعوب الاوروبية وانما ان تجد هذه الوحدة في جزئيات ابحاث هذه القضايا الكلية ، فقولنا ان اوروبا تمسكت بالعقل في جميع اطوارها التاريخية لا يقودنا الى الاخذ بوحدة الحضارة الاوروبية لان العقل من المفاهيم الكلية التي لا يفهم منها شيء . ان موضوعية هذا العقل او ذاتيته ، تعاليه او واقعيته ، ايمانه بوجود العالم الخارجي او شكه فيه ، هي وحدها التي تستطيع ان تقرر وحدة العقل الاوربي وليس استعمال العقل فقط .

لا شك في ان العصر الاغريقي هو من العصور التي مجدت فيه اوربا العقل ورفعته الى مستوى الالوهية ، فافلاطون ، وهو من كبار مفكري هذا العصر ، قد جعل من العقل الطريق الوحيد المؤدي الى الحقيقة المطلقة ، اذ قال في الكتاب الخامس من الجمهورية « ان الاختبار الحسي لا يمكن ان يكون مصدر للحقيقة لان الحواس وما ينطبع عليها من امثالات العالم الخارجي خاضعة لمبدأ التغير » ولكن هذا الموقف الذي وقفه افلاطون من العقل يناقض الموقف الروماني والمسيحي لان الرومان والآباء والقديسين قد وقفوا موقف الشك والريبة من العقل ومقدرته على الوصول الى الحقيقة بالطرق التي اخذ بها اليونان . فالعقل الروماني اخذ ينظم حياته وفكره على مبادىء تجريبية ولم يأبه الى مبادىء قبلية ، وهذا الاتجاه الجديد اقرب الى فلسفة الذرائع الامريكية التي تقول بان كل فكرة هي حقيقة بقدر ما تنتجه من عمل او بمقدار ما تفسح من مجال للعمل . كل هذا يقودنا الى القول بان العقل عند الرومان لم يعد يحمل نفس مفهومه عند اليونان .

ولم يقف هذا الاختلاف عند هذا الحد ففي عصر النهضة حدث انقلاب له اهميته في تاريخ اوربا الفكري ، في ظاهره رجوع الى العقل والايمان بمقدرته في الوصول الى الحقيقة ، ولكنه في باطنه يختلف عن الاتجاه العقلي اليوناني لانه يبدأ من مقدمات وفرضيات تختلف عن مقدمات وفرضيات العقل اليوناني . ان الفكر الاوربي ابتداء من لوتر قد اخذ جانب الشك عند النظر في ماهية الاشياء وهذا الشك مع انه عقلي ، ورجوع ظاهري الى مبدأ العقل في الوصول الى الحقيقة ، قد خلق نظرة تختلف عن نظرة اليوناني . لانه ظاهرة سلبية فبينما يبتدىء اليوناني القديم في تفكيره بالوجود « Being » وينتهي بالخطأ « Not being » يبدأ المفكر في العصر الحديث بالشك والحذر وينتهي اما بالوصول الى الحقيقة او بالبقاء في الشك . وبكلمة اوضح ان العقل الاوربي الحديث لا يهمه ان يعرف الحقيقة بقدر ما يهمه ان يتجنب الخطأ او الباطل . وهذا الاختلاف بين العقلين ، اليوناني والحديث ، يجعلنا ندعو الفلسفة القديمة بفلسفة الوجود . والفلسفة الحديثة بفلسفة الخطأ والباطل « Error » .

اضف الى ذلك ان التفكير الاوربي الحديث قد لازمته نظرة ذاتية للوجود لان الشك اما شك في مقدرة الذات على الوصول الى الحقيقة ، واما شك في مقدرة الاشياء على اعطائنا صورها الحقيقية . وبما ان التفكير الفلسفي ان قدر له ان ينتج فلسفة ايجابية لا يستطيع انكار الذات لكونها اداة المعرفة لهذا اتجه الشك نحو الكائنات الخارجية واكتفى بالذات كحقيقة للوجود . وفي هذا خروج عن طريق العقل اليوناني والروماني على السواء لان العقل اليوناني عقل ايجابي موضوعي والروماني اختياري واقعي واما الحديث فهو ذاتي .

وابعد من كل هذا ان الفكر اليوناني آمن بالعقل ووثق به وبالعالم المحيط به ، لقد كانت نفسية المفكر اليوناني هادئة مطمئنة راضية مرضية تبحث العلم والاخلاق واللاهوت بنفس الطريقة وبنفس المقاييس والمقولات التي توصل اليها عقلهم ، بخلاف الفكر الحديث الحذر الذي يرى في لا محدودية العقل الوقوع في مهاترات كلامية وفي متناقضات فكرية . وهذا الاتجاه الحديث في تحديد عمل العقل قد بدأ في فلسفة جون لوك ، وتبلور في فلسفة (كانت) في كتابه « نقد العقل المجرد » حيث يصرح في مقدمة هذا الكتاب « بان الغاية من كتابي هذا هو تحديد العقل وبيان حدود المعرفة التي يمكنه الوصول اليها دون ان يزج بنفسه في متناقضات ميتافيزيقية لا يمكنه حلها . هذا هو مفهوم العقل عند الحضارة الاوربية الحديثة وهو مفهوم يختلف عن المفهوم اليوناني والذي يؤمن بلا محدودية العقل ومقدرته على الوصول الى الحقيقة .

هذا تاريخ موجز وبدائي لمفهوم العقل في الحضارة الاوربية . جسد العقل الانساني نفسه فيها بموضوعية عقلية غير محدودة عند الرومان وبذاتية عقلية محدودة في العصر الاوروبي الحديث . على انه لو تتبعنا مفهوم العقل في الفلسفات الخالدة في الحضارة الاوروبية لوجدنا ان الاختلاف ابعد واعمق مما ذكرت وسوف نأتي على بحث بقية المقومات للحضارة الاوروبية لنرى فيما اذا كان هناك من وحدة في مفاهيمها ام لا .

عمان — عبد الكريم الحمود

الشاعر ابو ريشة ينقد نفسه

بقلم ابراهيم العريض

هل يستطيع الشاعر ان ينقد نفسه!؟ . وبعبارة ادق هل يستطيع الشاعر ان ينظر الى بنات خياله – متجرداً من ماضيه – كما لو كانت هي بين يديه اثراً لشخص سواه. فيلمس فيها – باعادة النظر – ما يلمس غيره من مآخذ وضعف . ويحقق فيها – بالتتبع – ما يقر عين النقد من صقل وبلورة !؟ ولماذا لا نقول: هل في قدرة الشاعر ان يسمو على نفسه ! ؟.

ولا بد قبل الاجابة على السؤال ان نحدد موقفنا من الشاعر. فاننا عندما نوجه سؤالاً كهذا هل نعني تلك الحالة التي تلازم الشاعر والتي يظل فيها حراً لاجراء التشذيب والتهذيب في بنيات افكاره اثناء ما هو ماض في « النظم » متجرد له ، مقبل عليه بكليته في غمرة وحيه ؟ لا طبعاً . فالشاعر اذ ذاك يكون مغموراً بوهج نفسه واشد الناس اصطلاء بجرها . وفي مثل هذه الحالة يكون له الحق وحده – اذا شاء – وكما يشاء في نبذ كلمة ووضع اخرى مكانها وطرح بيت او الحاق ثان لتكملة المعنى . وكل ما هو على هذا الغرار من تقديم او تأخير او زيادة او نقصان وقلب او تحوير في سبيل ما يهم به من «التعبير» الاصيل. . حتى تتجسد الكلمة فاذ هو ينتفض كجرير عندما هب يصرخ في اذن الليل :

. . الله اكبر . . . الله اكبر . . . لقد رميته ابد الدهر

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

يستقيم التعبير للشاعر في مثل هذه الحالة غالباً. لانه يكون في موقفه اعلم الناس بحقيقة ما ينشده وما تقتضيه الحال من البيان. هذه الحال التي يستحيل ان نستدل عليها بشيء غير بيانه . انه في الواقع يكون اعلم الناس بحاله . وان جاز احياناً الا يكون هو في تلك الحال اقدرهم على الابانة والاحسان .

لا يمكن اذن ان نعني هذه الحال التي يتعرض لها الشعراء جميعاً ويخضعون لها بلا خلاف . ولذلك فان سؤالاً كهذا لا يمكن ان يمسها الا من بعيد . وكيف يمس سؤالنا هذه الحال بداهة والشاعر فيها انما يدور في حدود شخصيته ولا ينطق الا بلسانها . جهد همه الافصاح عنها . وهل بالغ به فنه – مهما حاول – ابعد من ذلك .

وعلى سبيل الايضاح فلنأخذ بيتاً كبيت الاعشى مثلاً قيل في موضوع انساني عام :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب ، وقد يصلن الامردا

فالفكرة هنا على بداهتها . . الغواني لا يواصلن الشيخ وربما يصلن الامرد . . هذا حق . ولكن ما بال الشاعر في محاولته تقرير هذه الحقيقة الانسانية يضعف من شأنها باستهلاله البيت بكلمة « ارى . . » حيث يجعل منها بهذه الكلمة تجربة ذاتية . افهي كذلك؟

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب . . .

وفي سياق لا يمكن للكلمة ان تؤدي اي غرض ذاتي . وما منعه ان يصدر البيت بـ « ان » للتأكيد . بدل « ارى » الجامدة هذه . فيقول مثلاً « ان الغواني . . الخ » ما دام هو في مقام يقتضي التأكيد ازاء تجربة انسانية عامة . والذي يدلك على ان الشاعر كان يحس انه بازاء تجربة انسانية – لا فردية – استعماله كلمة « قد » في الشطر الاخير من البيت كأداة تقليل . . . وقد يصلن الأمردا . فهي على الاقل في محلها – على ضآلة شأنها – تخدم غرضها المحدود .

ثم ماذا ؟ . . انك لا تحس في التقرير بأي صدى للواقع المر هذا – كان – في نفس الشاعر يحاول ان يمديك به . . ملوناً باحساسه . كما انك لا تدرك في البيت اي تعليل شعري لمثل هذه الظاهرة الانسانية يجعلها تمس وتراً في نفسك . وكل هذا ناشئ لان الفكرة – كما قلنا – اتى بها الشاعر على البداهة ونظمها عفو الخاطر .

ومن هنا صح للنقد ان يسم معنى البيت كله بانه فطير .

ولنقارن الآن هذا البيت ببيت ابي تمام فيما يشبه معناه :

أحلى الرجال لدى النساء مواقعاً من كان اشبههم بهن خدودا

الفكرة هي اياها . ولكن الشاعر هنا قد تناولها بكثير من التصقيل . وآية ذلك هذه النظرة النافذة الى مشابهة خدود الرجال لخدود النساء في زهرة العمر . . حقيقة رائعة لا تنكر . ثم التجاوز من ذلك الى تجسيم وقع اثرها العميق في النفوس . ان الشاعر ليس بصدد « الوصل » ولا هو يتحدث عن الوصال . ولكن لا يكاد معنى بيته يلمح اليهما من بعيد في « حلاوة » موقع هذه الصلة كحقيقة انسانية . وتصويرها امام العيون . حتى تهتز طرباً لما يقطر فيه من ماء الشباب ويشيم من جمال . ثم ماذا ؟ اذا كانت هناك ذاتية للشاعر في البيت ازاء معناه الانساني العام فانها لا تتجاوز الفطنة التي تتلمس مواطن الجمال وتدرك جوهره الخالد في ظواهر الوجود . هذه الذاتية – او « الروح » ان شئت ان تسميها – وهي التي تهزنا بتغلغلها الى كنه الاشياء وكشفها المعميات . وتعدينا

بمنى الطروب كلما بلغت غرضها من التوفيق حقيقة اخرى تبهر . وندرك من هذا كله ان ابا تمام لم يأخذ الفكرة على البداهة ولا ألقى بها من المنجم الينا فحمة سوداء كما فعل صاحبه . وانما احالها في ذهنه الوقاد حتى اخرجها لنا ماسة تتلألأ . .

اذن من غير المعقول ان نوجه سؤالنا توجيباً على حالة يتعرض لها الشعراء جميعاً بالبداهة . وانما يظهر لي ان وراء هذه حالات اخرى تتعاقب في فترات . عندما يقف الشاعر — لا كل شاعر — من اثره موقف الغريب . ويرنو اليه بعين الغريب . فهل هو مستطيع آنذاك ان ينقد اثره كالناقدين . على ضوء ما لابس حياته الارضية من تجارب جديدة ؟ وهل هو اذا فعل ذلك مستطيع ان يحيل اثره القديم خلقاً جديداً .

والاهم من هذا هل يجوز للشاعر ان يفعل ذلك ؟ والى اي مدى يمكن ان يحالفه في فعله التوفيق ؟

وهنا كلمة لابد منها . فالشعراء يمكن تقسيمهم الى مدرستين . فاما احداهما فتدين بمذهب « البداهة » متخذة شعارها قول المأمون « بالاحسان في البداهة تتفاضل العقول » . فلا يبيح افرادها لانفسهم بعد فترة « الوحي » ان يتصرفوا في شيء مما نفث به هذا الوحي . فبمجرد انقضاء عهده عندهم يتوقف كل شيء وقد استوفى صورته النهائية . هذا هو الحال عند ابي تمام والمتنبي اللذين كانا يفرضان ادبهما على النقد فرضاً . واما الاخرى فتؤمن بمذهب « الاختيار » كأنما رائدها قول ابي الطيب .

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

فيستبيح افرادها لانفسهم في حال « الوعي » التي تعقب فترة الوحي مباشرة — لا بعد انقطاع الاسباب بها — ان يستكملوا اثر ما نفث على لسانهم من ملهم البيان . وتحفل هذه المدرسة بالاغلبية الغالبة من الشعراء . فبين اسمائها اللامعة زهير في الجاهلية وابو نواس والبحتري في ضحى الاسلام .

ولكن تلحق بكل من المدرستين فئة تتجاوز بمذهبها الذي تعتنقه خطوة الى الوراء . هذه الفئة تأبى — اذا كانت تدين بالبداهة — ان تستبدل على هدى النقد كلمة بأخرى ولو احسن بمجرد انقطاع صلتها بالظروف الموحية . ولذلك تجدها دائماً تطمئن الى تسجيل البارقة الاولى من ومضات القلب الحساس . وان جاءت الومضة باهتة في معظم الاحيان .

ومن جهة ثانية تبيح لنفسها — اذا كانت تؤمن بالاختيار — الحق في ان تتبرأ من كل اثر لها قديم اذا بدا لها فيه — مع تطور الزمن — هبوط عن المستوى الذى تصل اليه . فلا تزال مع هذا الاثر في تحوير وقلب . وتشذيب وصقل حتى تحقق للاثر ما تتطلبه من كمال والا نفضت منه اليدين .

هاتان فئتان تتقلبان في زمرة الشعراء . ولكن احساسها بهذا « الندود » يدفع بهما الى خارجها . او على الاقل يوهمها انهما كذلك :

انا اما ان لا اكون — كغيري — شاعراً ، او اكون وحدي الشاعر ! (١)

ترى احداهما قيمة الاحساس في « الانبثاق » مما تقدحه الصدمة الاولى . . كالبرق ، الذي لا يدوم ألقه اكثر من طرفة عين بينما ترى الاخرى قيمة الاحساس في « التحليل » تحليل الاطياف ، كقوس قزح ، الذي يحول بقطرة الماء في آفاق السماء الواناً . تطرف في المذهبين اللذين يأخذ بهما عامة الشعراء . تقف الفئتان منه على طرفي نقيض . فان اردت مثالاً حياً عليهما في عصرنا قلت . . يقف احمد الصافي الساخر بفطرته في طرف منها . وفي الطرف الآخر يطل الشاعر عمر ابو ريشة بموكبه الفني .

فاما الصافي فما حاول ان ينقد شعره قط تمسكاً بالمذهب الذي يدين به في الشعر رب كما خلقتني . وهو بعد جبار . واما ابو ريشة فقد صرح على رؤوس الاشهاد — عندما اخرجت له « دار مجلة الاديب » ديوانه الفاتن الاخير « من عمر ابو ريشة — شعر » في العام المنصرم . صرح . . انه « لا يعترف بالكتب او الدواوين التي ظهرت قبل الآن . والتي تحمل اسمه . . وانه يتبرأ منها » .

وهذا ما حدا بي ان اسأل السؤال الذي بدأت به المقال . . هل يحسن الشاعر ان ينقد نفسه ؟

وما هي هذه الدواوين التي يحاول ابو ريشة ان يتبرأ منها .

اما انا فلا ادعي اني اطلعت عليها كلها . . . لسوء الحظ . ولكن الذي اطلعت عليه منها قبل هذا الديوان الاخير قد احل الشاعر منزلة عالية في نفسي بين شعراء العصر . فما اقل النجوم اللامعة في زحمة هذا السواد . من بينها ديوان « شعر — عمر ابو ريشة » الذي نشرته للشاعر مطبعة « العصر الجديد » بحلب قبل الحرب بعامين . والتمثيلية « ذي قار » وفصل من « محكمة الشعراء » . وبضع قصائد اخرى كان ينشرها الشاعر متفرقة .

اما الديوان المشار اليه فقد قرأت للشاعر فيه — قبل عشر سنوات ونيف — مسرحيتين واربعين قصيدة تبلغ جملة ابياتها « ١٣٣٤ » بيتاً . والذي الاحظ ان ابو ريشة قد اعاد في ديوانه الجديد نشر تسع عشرة قصيدة من القصائد التي كان يحفل بها هذا الديوان . اعاد نشرها بتغيير في العناوين في عدد منها . وتحوير

---

(١) البيت هو لأحمد الصافي .

في ابيات بعضها الآخر .. متوجاً بتوطئة نثرية .

ولي رأي خاص — لا ادري اذا كان يوافقني عليه الادباء — في هذه النتف النثرية التي يمهد بها الشعراء في ايامنا عادة الى قصائدهم فهم انما يوجهون بها ذهن القارىء الى معنى خاص في انفسهم كثيراً ما يحدد من افق القصيدة ويكبلها بقيود .. اذا لم تجاوز رميتها الهدف . واذا كانت هذه التوطئة كما هو المفروض فيها تجلو لنا المناسبات اوتحلو في المناسبات . فلااظن ان القارىء في حاجة الى معرفة كل مناسبة ينظم فيها الشعراء قصائدهم . وليست كل قصيدة بصالحة لهذا الشأن .

ان هذه التوطئة عند ابو ريشة — على كل حال — تحاول ان تلقي ضوءاً على القصيدة وان تزيدك تعريفاً بها كما تحاول ان تفعل هذه اللوحات الفنية التي يزدان بها الديوان . اما الشأن عند غير ابو ريشة فغريب جداً . فأن المناسبة عند هؤلاء هي كل شيء تقريباً . فاذا وعيتها لم يبن للشاعر شيء آخر يدلي به اليك . ويحضرني في موقفهم قول الاعرابي الذي تردد على سمعه هذه الاسماء الكثيرة التي يدعى بها الهر . فخاله آفة يجب ان يحسب له حساب . حتى اذا رآه لم يتمالك من الضحك وقال ما اكثر اسماء الهر . وما اقل الهر بنفسه !

قلت ان ذوق شاعرنا قد تناول عدداً من قصائده القديمة بقليل او كثير من التحوير في شيء يسير من الحذف هنا وهناك ليعدها للنشر من جديد وكذلك فعل باحدى المسرحيتين . واما ما بقي من تلك المجموعة فيظهر انه يود ان يضرب صفحاً عنها . حسب اعترافه الخطير .

ولم كل هذا !؟ .. الذي اعلمه يا شاعري ان فتزجرالد اخرج ترجمته الانكليزية لرباعيات الخيام في طبعتها الاولى عام ١٨٥٩ في « ٧٥ » رباعية . ثم اعادها في الطبعة الثانية بتحوير كثير في « ١١٠ » رباعيات . ثم جدد نشرها في طبعة ثالثة .. ورابعة ومقتصراً على « ١٠١ » رباعية بعد ان اخذت كل من الطبعتين حظها البالغ من التحوير . ومع هذا بقيت الصورة التي ظهرت بها ترجمة الرباعيات هذه في طبعتها الاولى هي المثلى عند ادباء الانجلوسكسون ... رقة اسلوب وروعة بيان . وقد افسحت لها — وحدها — مختاراتهم الادبية صدرها بين روائع الآثار . ثم عمرت — بعد — مجالس الادب عندهم للتندر على الطبعات الباقية .

وقد كان لي في حينها — كما ارجو ان يكون لغيري — درس عميق الاثر عند الاطلاع على هذه الظاهرة الادبية الفريدة . فقد ادركت منها بعد لأي ان الشاعر اذا حاول ان يقف من نفسه موقف الناقد فضي يحور ويبدل في نتاج ادبه مسايرة لذوق متطور فانه لن يسلم — كأي ناقد — من الخطأ والصواب .

لقد نشر ابو ريشة ديوانه الجديد حافلا بـ « ٦٥ » قصيدة .. غير المسرحية .. « عذاب » التي اعادها مهذبة . ففي المجموعة « ١٩ » قصيدة — كما قلت — من ديوانه القديم . اما القصائد الباقية — واغلب الظن انه نظمها بعد نشر ذلك الديوان كما يدل عليه التاريخ الذي ذيلها به — فأشهد انها من آثاره الحسان .

اني جد معجب بهذه القصائد الجديدة التي زادتني أنساً بالشاعر وانشراحاً له واقبالاً عليه . فقد وجدته فيها مؤتلقاً — كالكوكب — يحاول السمو على نفسه . واتمنى لو اتيحت لي قريباً فرصة دراستها وعرض بعض نماذجها الجميلة على القراء .

اما الآن فلي مع الشاعر شأن آخر . ولذلك لا اود ان اتجاوز ما جد من هذه القصائد القديمة التي شاء شاعرنا ان يجلوها علينا صقيلة مطراة في حللها القشيبة . وكيف يمكن ان تنسى هذه القصائد وها انا استعرض في موكبها من جديد « مصرع الفنان » و« شبح الماضي » و« جان دارك » و« المتنبي » و« طلل » ... وما ادراك ما « طلل » !؟ وان حزني ان يلم بي « حرمان » الشاعر في العناوين ثلاث مرات .

الى اخواني الادباء اذن اسوق على سبيل المثال قطعة لشاعرنا صغيرة تقبلها الديوان الجديد بعد صقل وتهذيب . فنجت بذلك من الوأد الذي كان مصير اخواتها الحسان . اما ابياتها فلا يتجاوز عددها الخمسة اذكر اني قرأتها في كثير مما قرأت للشاعر قبل عشر سنوات ونيف . وما ابعد ذلك العهد عني الآن ، وهذه هي الابيات :

ليلى ! انا وحدي اقلّب في الربى — طرفاً يروح به الجمال ويرجع
غناجني ذكراك حتى انثني — متطلعاً ... لهفي لمن اتطلع
بيني وبينك مهجة جدا جسا ال — قلب الجموح وتستر الأضلع
أقتات بعدك بالخيال . وقلّما — دفق الظلام وما احتوانا مضجع
ليلى ! اكاد اهين فيك فتوّتي — فأصيح في عينيّ أين الادمع !؟

وكان عنوان القطعة « ذكرى ميت » . افتدري ماذا اوحت لي به من معان ؟ . رأيت الشاعر على الربى يقلب طرفه فيما يحف به — مد الافق — من آثار الجمال . يستجد ذكرى ليلاه العزيزة التي يتفقدها طرفه في مجالي صباهما فلا يراها .

ليلى ! انا وحدي اقلّب في الربى — طرفاً يروح به الجمال ويرجع

وتهيج به ذكرى الفقيدة فينثني متطلعاً حيث كان لوقع خطاها فيما سلف من الايام همس مستحب بين الاعشاب . ولكن ياوحشة الفضاء الخاوي .. اين هي الآن .

غناجني ذكراك حتى أنثني — متطلعاً ... لهفي لمن اتطلع

انها — لو يعلم التراب — في رقدتها الابدية . حيث يهدأ

القلب عن جوحه وتستقر الاضلع في وحشة السكون .

بيني وبينك هجمة يهدا بها ال   قلب الجموح وتستقر الاضلع

وهل بقي لهذا القلب في ذهوله منها غير طيف خيـال . هذا الطيف الذي يجدد الطرف الساهد سبب الاجتماع به كلما دفق الظلام فتضيء لوعة الذكرى شفافة في صمت الظلام . حبذا هذا الطيف الحبيب يعيد الى قلبه ذكرى ايامه السالفة . . ولو . . ولو .

أقتـات بعدك بالخيال . وقلما   دفق الظلام وما احتوانا مضجع

. . ولو من خلال الدموع . ولكن اين هي الدموع ايبكي بها الشاعر نفسه . . لا شيء سوى عينين جامدتين . ان كبرياءه الجريحة امام الموت لتبخل عليه بعبرة . ولو كان فيها راحة للوالهين . فما اعظم شقاءه بتمرد هذه الفتوة العاتية .

ليلى ! اكاد امين فيك فتوتي   فأصيح في عيني أين الادمع ! ؟

هذا ما كانت توحي لي به الابيات من معان كلما رددتها في عزلتي القاتمة . فكان يتجدد لي على لسان الشاعر الم «حبها» الدفين .

وفي اصيل يوم من ايام الصيف المـاضي تجدد عهدي بهذه الابيات مهذبة بقلم الشاعر . . في ديوانه الجديد . واليك صورتها كما يريدها الشاعر الآن .

ليلى ! انا وحدي اقلّب في الربى   طرفاً يروح به الجمال ويرجع
أسهو على ذكراك حتى انثني   متطلعـاً . . . لهفي لمن اتطلع
بيني وبينك عـالم لم يدنـه   شوق . ولم يبلغ حماه تضرع
اقتـات بعدك بالخيال . وقلما   دفق الظلام وما احتوانا مضجع
ليلى ! يكاد هواك يجرح زهوتي   فنبوح بالالم الدفين الادمع !

وعنوانها الجديد « حرمان » . وقد صدرهـا الشاعر بهذه التوطئة . . كمدخل لحرم حبه « كان واقفاً عـلى صخرة في جبل لبنان . يستعرض ذكريات خلابة . فتلفت ذاهلاً . كأنه يريد ان يكلم من ظنها قريبة منه » .

اذن ليلى هذه ليست تلك التي وارينا ها — انا والشاعر — في التراب . ثم عشنا زمناً على ذكراها . انها لليلى جديدة ! افتدري ماذا يحاول ان يفهمني الآن . . فاسمع .

ان ليلاه الجديدة هذه غانية مدلة بنفسها تياهة بجمالها قد نقضت عهده . وها هو الشاعر في مجلى احلامها يقلب طرفه فيما يحف به من تلك الآفاق الجميلة التي شهدت نجواهما من قريب . يطلبها عبثاً فلا يراها .

ليلى ! انا وحدي اقلّب في الربى   طرفاً يروح به الجمال ويرجع

لقد وقعت بينها وبينه جفوة ممـا يقع بين المحبين . فهي لن تأتي او هكذا يخيل اليه . وذكراها . . انه ليسهو بها عن نفسه حتى يخيل اليه ان العهد ما برح كما كان . فينثني متطلعاً لوقع خطاها القريبة كما كان يفعل في اماسي غرامه .

اسهو على ذكراك(٢) حتى انثني   متطلعاً . . . لهفي لمن اتطلع

ولكن اين هي من عينيه الذاهلتين . انها بعيدة بعيدة بعد . . . البين . وما حيلة القلب المشتاق اذا كان من يهواه ليس . . ان كل ما توسل به من شوق لا يرفع بينهما هذا الحجاب الذي يوشك ان يسدله ليل الحرمان . وكل تضرعه لا يحرك فيها قلباً تشرب القسوة من حبه .

بيني وبينك عـالم لم يدنـه   شوق ، ولم يبلغ حماه تضرع(٣)

بلى ! . . لم يبق للشاعر العاشق شيء يقتات به بعدها غير الخيال . وكم جدد له الخيال انس ماضيه اذا غنى به الليل على المضجع الدافي .

اقتات بعدك بالخيـال ، وقلما   دفق الظلام وما احتوانا مضجع

وكبرياء الشاعر التي لم تذل للدمع قط . . ماذا جرى لها الآن ان هوى ليلاه يكاد يدميها في الصميم . وهل كبرياؤه هي الجريحة؟ لا انما هي زهوته التي استعاض بها عن الكبرياء بين يدي فاتنته الجديدة . فهو لا ينتحي متمرداً على فتوته . كفعله بالامس عندما عز عليه ان يذرف معنى الكبرياء فيه فيبل الجفن لهفـة لذكرى حبيب غيبته الصفائح . بل ان الدموع لتفتر على حب ليلاه هذه فاضحة سر الالم الدفين الذي طواه الشاعر بين ضلوعه . ويا لشقاه في وحدته الآن يتطلع الى الاوراق الخضر التي صفقت لسعادته . . نضو الحرمان .

ليلى ! يكاد هواك يجرح زهوتي(٤)   فنبوح بالألم الدفين الادمع(٥)

---

(٢) هنا نلمس اثر التغيير . فقد كانت الذكرى « تهتاجه » ولكن الشاعر اختار ان « يسهو عليها » كانت هناك تهتاجه ذكراها فينتفض متطلعاً الى ما قد واراه الغيب وهيهات للماضي ان يعود . اما هنا فانه لذهوله يسهو على الذكرى من غصته الحاضرة . هنـا حالان يتطلع في احداهما واعياً وفي الاخرى . . . غير واع . ولكل وجه من التأويل .

(٣) هنا نقطة التحول التي قلبت معنى القطعة رأساً على عقب . فبعد ان كان يقوم بينها وبينه هجعة . . . يهدأ بها القلب الجموح وتستقر الاضلع في سكون ابدي . اصبح الذي يحول بينهما هو عالمنـا الذي تتقلب فيه بين الهجر والوصال . في هذا العالم وحده — عالم الشهادة — يمكن الشوق ان يدني بين قلبين وللتضرع ان يبلغ سدة الحبيب .

وقد يجمع الله الشتيتين ، بعدما   يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وليلاحظ ان هذا البيت وحده — البيت الثالث — اصبح لكل من القطعتين صورتها الذاتية المستقلة وما شاع فيهما من جو خاص . ثم يجيء التنويه بـ « الهوى » في البيت الاخير معززاً هذا الوجه من التأويل .

(٤) ونلمس في هذه الكلمة اثر الرمزية التي اخذت تشق طريقهـا في آثار شعرائنا الجدد .

(٥) يلاحظ ان البيت كله قد تحور من اساسه . غير انك لو تسألني لقلت اني لا زلت مفتوناً بالبيت القديم بصورة الفتوة وقد كهربها مس الهوان . والادمع التي يصيح بها الشاعر مجروح الاباء . . . لانها صورة اصلية لا تتجلى من الذرى لغير النسور . اما معنى الزهوة التي يُشفق عليها الشاعر من جرح هواه ، والالم الدفين الذي يبوح به الدمع فانه لا يعجبني . ولعل ذلك لانه معنى مبتذل تتلهى به بغاث الطيور .

لا يا شاعري لقد عرفتك من ابياتك – اول عهدي بك – في في العنفوان قد عجم عودك الزمان ترنو اليك الغيد الحسان فلا ينسيك اعجابك بهن عجبك بنفسك وهذا ما حببك الي. فاذا كان لغيري ان يتردد في اي الصورتين يختار فاني لا اكتمك اني لا اعدل بالصورة الاولى شيئاً . انها حبيبة الي لانها تحفظ لي « ذكرى ميت » لم اسل عنه حتى الآن. وربما لا يرضي ليلاك الجديدة هذا القول . فهنيئاً لك ولها حبكما الجديد .

ولكن ما لي اضيق عليك . اليست القطعة الاولى هي لشاعر ما برح يحمل اسمك . ان لم يعد عزيزاً عليك فهو عزيز علي. احببته حبك لاني عرفته مثلك . لا يا شاعري لا تظن انك وأدت بنات خيالك لان ديوانك الجديد ضاق عنها . فما نشرته من قبل اصبح خالصاً للادب يعيش في عالمه حياً . وقد يكون لـك فيه رأي وللزمان رأي آخر .

هذا نموذج يسير له دلالته على مـا جرى به قلم ابو ريشة في شعره القديم من تهذيب وصقل . وقد ادرت كلامي عـلى هذه القطعة الصغيرة (ولم اتجاوزها الى نمـاذج اخرى في الديوان كان الشاعر فيها اكثر توفيقاً) لان ابياتها التي تعد على رؤوس الاصابع يمكن ان تُتناول بالنظر الدقيق بيتاً بيتاً – كما فعلت – دون ان يشعر القارىء العجل رهقاً في مجلة سيارة . ثم يمكنك بعدها ان تقارن الفكرة العامة التي تباورت عنها القطعة في الحالين – وهو الاهم في الموضوع – بعد ان تكون قد وضعت يدك في الابيات على سر منشأ هذا الوجه دون سواه من التأويل . وقد امكن كل ذلك لان القطعة صغيرة .

اما في القصائد المطولة فـانه اذا امكن الاضطلاع بالشطر الاول من هذه الدراسة . اعني مقارنة الابيات بيتاً بيتاً . وهو مـا كان يقصر عليه ادباء العصر العباسي همهم فيضعون مثلاً .

تهتاجني ذكراك حتى انثني ... متطلعا ... لهفي لمن اتطلع
بازاء – اسهو على ذكراك حتى انثني ... متطلعا ... لهفي لمن اتطلع
و بيني وبينك هجمة يهدا بها الـ ... قلب الجموح وتستقر الاضلع
بازاء – بيني وبينك عـالم لم يدنه ... شوق . ولم يبلغ حماه تضرع
و ليلى! اكاد اهين فيك فتوتي ... فأصيح في عيني اين الادمع!!
بازاء – ليلى! يكاد هواك يجرح زهوتي ... فتبوح بالالم الدفين الادمع!!

كما فعلوا في عصرهم بالشعر الذي تداولوه . . قلت اذا امكن الاضطلاع بهذا الشطر من الدراسة . فان الشطر الثاني وهو الذي يجب ان يكون عليه المعول وحده في الحكم للشاعر او عليه، يتعذر ان لم نقل يستحيل على الدارس القيام به ضمن هذا النطاق المحدود لان ما يجريه الشاعر من تحوير في « فكرة » بيت بعينـه يتردد صداه في السابق واللاحق من الابيات – كما رأينا – مما يضطر الشاعر الى اعادة النظر فيها جميعاً على ضوء كل تحوير جديد . لقد حدث هذا فعلاً في القطعة التي نحن بصددها منذ اختار الشاعر ان يحور وجه البيت الثالث عن سالف معناه ورضي به هكذا .

بيني وبينك عـالم لم يدنه ... شوق، ولم يبلغ حماه تضرع

بدل قوله السابق . فغير بذلك جو الابيات كلها .

قلت ان القدماء كانوا يُقصرون دراساتهم الادبية على المقارنة والموازنة بين الابيات المفردة اذا كان لها ظل مشابه من المعنى . . كما فعل في القرن الرابع الآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه . ولكنهم لم يتجاوزوها الى ما يليها . كانت خطوة اولى للنقد لابد منها في طريقه القويم . لكن الادباء قصروا همهم عليها فقصروا . وظل الادب العربي يشكو هذا القصور الى اليوم .

هما خطوتان . . لا تكمل احداهما بغير الاخرى . وقد آن للنقد الحديث ان يخطو هذه الخطوة الثانية . ان معنى البيت هو الذي ينعكس في القصيدة كلها . وفكرة القصيدة هي التي تثير البيت . فعلى النقد اذا شاء ان يستكمل رسالته ان يحلل الصلة التي تقوم بينهما . . لوناً لا لغة . . وجوهراً لا عرضاً . . ونغماً لا نظماً . فيرى مثلاً كيف تترك الكلمة الواحدة – لا كل كلمة طبعاً – اذا تغيرت هنا وهناك اثرها في تصميم البناء كله وكيف يدفع البيت بمنكبه – كالموجة – ما قبله وما بعده من ابيات حتى تفيق لك البحيرة كلها . . وكأنها في اهتزاز عام . وخلق جديد .

أليس هذا موضوعاً شيقاً جديراً بدرس الادباء .

اخشى ان زمام الموضوع ينفلت من يدي . فقد كنت بصدد الرد على سؤال اثاره في عمر ابو ريشة بديوانه الجديد . فأردت ان نشترك معاً في الجواب . فاذا بتيار البحث يجرفنا الى سواحل لم تكن وجهتنا بادىء الامر . فهل ترانا أجبنا على السؤال بعد ؟

لنعد الى سؤالنا من جديد هل يحسن الشاعر ان ينقد نفسه؟ . والجواب ينتهي بي الى رأي في الادب اعرضه على بداهته . وهو اني اذا عثرت على روايتين لبعض الابيات مصدرها الشاعر نفسه اجت لنفسي اختيار ايهما فليس حتماً ان يوفق الشاعر في نقده لنفسه على الدوام . انه قبل كل شيء انسان يخطىء . . ويصيب .

البحرين   ابراهيم العريض

زواج موفق

بقلم سلمان اسود

☆

في مدينة « ديوربل Diourbel » السنغالية بين حفنة من التجار اللبنانيين والسوريين ، كان يقيم المهاجر « سليم » مع ابيه منذ عشر سنين . ويتجران بالاقمشة وبعض اصناف « الخردة » وكانت حياتهما كحياة كل مغترب، حياة كد وعناء ! فلا العيش اغيف ماتم، ولا الطبيعة ملائمة متسقة، ولا الدنيا الافريقية جميلة جذابة ، فكل شيء فيها كالح، باهت .

وسليم وهو بعد فتي في السادسة والعشرين من عمره . مالىء العين ، غض الاهاب ، طلق المحيا ، كان شديد الغيرة على ابيه ، يجهد نفسه في سبيل راحته ، والترفيه عنه ، فابوه كهل لا يقوى على احتمال مصاعب الحياة . اكثر مما احتمل ، لا سيا وان السنين الطوال ، التي قضاها في الارجنتين، واخيراً في السنغال ، هي وحدها كافية لكي ترسم في جبينه سمات التعب ، وتخط في سحنته علامات الاعياء والكبر ، حتى ان الناظر اليه ، يكاد يحسب انه اجتاز دور الكهولة باشواط وان كان لم يعبر هذا الدور فعلاً ! .

كل هذه الامور، كانت تشغل بال سليم، وتجعله يمعن التفكير ولكن اكثر ما كان يثير نوازعه النفسية، هي هذه الرغبة الملحة من ابيه، انه يريد ان يكون لولده شريكة حياة، امرأة فاضلة ، زوجة كريمة ، انه يريدها له قبل ان تحاول يد خفية اغماض عينيه ، واستلاب انفاسه . . لقد اجلس ابو سليم ولده ثانية وكاشفه في هذا الامر، امر الزواج! فلم يتحسس فيه ميلاً مطلقاً، ولا سمع منه وعداً قاطعاً ، رغم ان سليم لم يكن فظاً في موقفه حيال ابيه وان بدت على وجهه بوادر التهرب والنفور! . على انه لجاجة الوالد، اخذت تربك الابن ، وتضعف حيلته في طريقة لتخلصه ،فيحار ، أيذعن لامر ابيه ، وامه بعيدة ، طالقة منذ عشرين عاماً ؟ ! ثم كيف يوفق الى اختيار انثى لا تكون سبباً في ابعاده عن اخيه « محمد » المقيم في الوطن ، وهو من غير امه ؟! حقاً ان مثل هاته القضايا ، لتحتاج الى روية ودراية ! .

ويطأطىء الابن مسمعاً ، سدراً ، يحدج الارض ببصره كأنه يبحث فيها عن شيء ثمين اضاعه لساعته ، وتتدحرج على شفتيه مقاطع كلمات ثقيلة ، اثقل عليه من ليالي مغترب عاثر : « ابتي ! لست اخالف امرك، ولن ارد مطلبك ، سأتزوج . . ولكن ، اريد ذلك في الوطن ، وطننا المفدى . فالبنات ثمة كثيرات ولعلني اجد بينهن تلك التي استطيع ان احيا معها بجانبك حياة الالفة والوئام . » فتشيع في الوالد حواس الحنان ، ويقبل على ولده ضارعاً بالشكر الى الله عز وعلا ، يقول جازماً : « اذن ، تهيأ للسفر يا بني . . . استعد . . فانا بحاجة ايضاً للعودة، ولكن اعمالنا لا تسمح لنا ان نسافر معاً . . فلأبق انا ، ريثما تعود وزوجك . فأذهب يومذاك للاستجمام تحت سماء بلادنا الحبيبة ، اليس كذلك ؟ » .

– ولكن ! ابتي ، لا ! لن ادعك وحيداً هنا ، انما كنت احسب عندما ابديت رأيي ان ارسل في طلب اخي ليتولى زمام العمل مكاني ، فانت تعلم حفظك الله ، ان المهجر اصبح مورد رزقنا الوحيد ، وان ضيق مجالات العمل ، ومساوىء الوضع الاجتماعي في الوطن، لا تقدر لاهل الطبقة الوسطى امثالنا ان يفيدوا من ثرواتهم الضئيلة ، على قدر ما يصيبه المهاجر منها في بلاد اخرى غريبة ! .

– اصبت الرأي يا ولدي ، فاصنع في الحال ما بدا لك .

وفي غضون شهر وايام قليلة ، يطل على السنغال وجه جديد ، وجه شاب يشرق بالدم ، وينبض بالحياة ، انما لا تكاد تلفحه شمس افريقية ، حتى يفيض ماؤه ، ويذبل عنمه ، فيغدو اصفر اغبر ! انه محمد ، « اخو سليم » صبي في السابعة عشرة ، وصل ليأخذ في اعانة ابيه مكان اخيه ، والتمرس بالصعاب من اعمال الكدح والجد .

ولم يمض شهر على قدوم محمد ، حتى تستيقظ في الوالد رغبته الاولى ، فيذكر سليماً بالعهد ، ويردد : « آفة المروءة خلف الوعد » . . فيذعن الابن لامر ابيه ، ويسافر على اسم الله ، على متن اول طائرة الى استانبول – الشام ، ثم بالسيارة الى بيروت – قانا ، القرية اللبنانية الحالمة ، القرية التي اول ما انفتحت عينا سليم فيها، على مروج التين والزيتون ، وانوار اللوز والزعرور . فتحتفي به امه خير حفاوة، وتدعو الكثيرات من نساء القرية وفتياتها الى حفلة « مولد » بمناسبة عودة ولدها . . اما اتراب سليم في القرية فلم يكونوا اقل اشتياقاً من امه نفسها ، فالهجرة ابعد من ان تذهب



بذكرى تلك « الدبكات » الرائعة ، يوم كانوا يعقدونها حلقاً بين خيام التين حول فروع الدفلي وتحت اغصان الحناء المنورة ويقيمونها يجنون على ازين « المجوز » وانغام « الدربكة » . وتلك المباريات ايضاً ، يقفونها صفوفاً صفوفاً على اعالي الاكم ، ويصرخون واحداً تلو آخر ، اشارات ونداآت ، ليدركوا ايهم اقوى صوتاً اذ يرجع الوادي صداه ! .

ولم يمكث سليم طويلاً في قريته ، عشرة ايام فقط ، ويعرج على بيروت ، بعد ان يكتب لابيه رسالة قصيرة مقتضبة ، لا تحمل سوى خبر وصوله سالماً . اما تلك العلالة التي كانت تدغدغ آمال الوالد ، والبشرى التي كان يرتقبها لاهفاً ، لم يشر اليها ولده ألبتة! فتعتلج في صدره الهموم وتطوف في مخيلته الظنون ، وتدور خواطر جارحة . . وصور شتى لا يعرف مصدرها ، ولا يدرك كنهها . . ألى هذا الحد ، يضن سليم عليه بالكلام؟! اليس لديه وقت يحدثه فيه عن الفتاة التي وقع اختياره عليها ؟! ايتلهى بتبذير ما وفره لامر زواجه ؟! اتغريه حياة البذخ والاسراف . فلا يروعه الا نذير العوز . . الافلاس ؟! . . فيفقد كل شيء ! .

لا ! افكار سقيمة تترى ! لا ! انه يعرف حرص ولده على الدرهم ، الدرهم الذي هدر في سبيله غرفات من دمه وشبابه ، حتى تلد منه مبلغاً قد يكون كافياً لهم كأساس لاعمال مقبلة .

والى هنا تركد انفعالات الاب ، وينقطع طواف حدسه ، على امل وصول رسالة اخرى ضافية .

ويمر اسبوع . . ثلاثة . . شهر . . خمسون يوماً ! يا الهي ! .

وفي باكورة اليوم التالي ، بينما جلس ابو سليم يرشف قهوة الصباح كالمعتاد ، ابتقع لونه فجأة ، وهو يرد تحية الزنجي الساعي : « بخير – جامرك – الحمد لله » وينتصب ذاهلاً ينادي . « اسرع –كاول – هات ! بريد لبنان ؟ » وبدون تفكير ، تتوغل يداه في كيس الرسائل ، فينثرها هنا وهناك ، وينظر الى ظروفها نظرات عابرة ، ثم ينتزع احداها ، ويستوي لاهثاً على كرسيه الخشبي ، كمن جلس يتنفس الصعداء على وشوشات الريح بين سنابل الزرع ، اثر حصاد مرهق شاق . . وفي ومضة عين ، حلا الساعي حلوانه ، وعاد يفض الرسالة برفق وتؤدة ، كأنه يخاف ان تخدشها خفقات قلبه المتواترة ، او يحذر من ان تقسو على ليونتها يداه الخشنتان ! وبعد ان يعتدل في جلسته ، يتلسع عنقه قليلاً ، ويحدق في تاريخ الرسالة ، فيعرف انها قريبة العهد ، ثم يوغل في تلاوتها :

ابني الحبيب ، ها انذا اكتب اليك بعد انقطاع ممض ، ولكني ارجو ان تكون عاذري على كل حال ، اما علة تأخري فقد كانت نتيجة انتظار الترخيص باعلان خطبتي .

سيدي : لست اغالي اذا قلت اني ارى كل شيء جميلاً بين الاهل في ربوع الوطن ، اي بعكس ما كنا نسمعه من دعاوة بعض المغرضين ! فالحياة ممتعة ، والطبيعة ضاحكة ، وجمال الكون ساحر اخاذ ، والدنيا العربية ، ان هي الا جنة ترخر بالروائع ! . . غير ان جميع هذه المباهج ، لا تحول دون انطلاق دمعات من عيني كلما اذكرك ، واحس بشوقي لرؤياك ، ان بعدك عني يحز في نفسي حزاً مبرحاً . ولا اكتمك ، اني ذرفت دمعاً غزيراً قبلما ابدأ بتدوين هذه الاسطر .

ابتي : ان انصرافي عن الزواج ، كان يؤلمك ايما ألم ، وقد كنت ادرك ذلك تماماً . بل كنت المحه بوضوح في غضون جبينك ، وفي اعماق ناظريك . ولئن نفرت يومذاك ، فما نفرت عقوقاً بالطاعة ، ولا استخفافاً بالابوة ، ولا ارواء لشهوة جنسية ، او لذة اباحية انما نفرت من رؤية وتبصر ، وودت اذا ما اخترت شريكتي ان اراها جديرة بعطفك ، قادرة على توطيد اواصر العائلة والاخوة ، مقدرة لمعنى الزواج ، الزواج المرتكز على اسس شريفة قوية ، ولقد اهتديت والحمد لله ، هنا في الوطن ، وفي قريتنا العزيزة ، الى ضالتي المنشودة ، انها خديجة ابنة « ك . ش . » الفتاة التي عرفتها منذ الصغر ، اي قبل انتقال اهلها بها الى فلسطين ، ولقد نشأت وترعرعت في فترات الصراع القائم هناك بين الحق والباطل ، مما ثقف روحها ، وصقل ذهنها ، وارهف احساسها ، وبعث في كيانها نغمة المضاء والاقدام ، فغدت بحق ابنة الضاد المرموقة في عالم الجنس اللطيف . العوامل التي ايقظت حسي الوطني ، ورددت في نفسي صدى دوي الفداء والثأر والتضحية . على اني رضاك اطلب ، وموافقتك ارجو ، وقبولك هو المراد ؟ .

ابتي : والآن ، وبعد هذه المقدمة الطويلة ، اشعر ايضاً بحاجة انبل ، حاجة قصوى الى تضرعاتك وادعيتك ، فانت تعلم ولا غرو ، فصول هذه المأساة ، التي يتنادى الى تمثيلها اخلاط الصهيونيين واعداء الانسانية ، على مسرح بلادنا الوادعة ! .

انه لمن عجائب الدهر ، ان لا يرعوي ضمير العالم ، وان تتهالك تلك اللمة المقتلمة ، ومن شد عضدها من جلادي البشرية ، على اخماد جذوة البعث العربي ، واطفاء نور الله في صدر امتنا الفتية !

لقد ذبحوا اطفالنا ، ونحروا نساءنا ، ورملوا عرائسنا ، واصلوها ناراً في صميم عزتنا وكرامتنا ! وعلى ارض خلود امتنا ، فوق امجادها وعلى رؤوس شهدائها ، يحاول شذاذ كل ارض في الارض ، رفع

اتجاه الفكر والبحث عن المعرفة

بقلم الدكتور فؤاد ماردبني

☆

ليس العمل وحده وليست القوة وحدها تخول الانسان السيادة على الطبيعة وما يحيط بها ، وانما سمو الفكر الذي يتميز الانسان به عن الحيوان يخوله ايضاً تلك السيادة. وان المثل الاعلى للبشر لا يقتصر على سعة العيش ورفاهية الحياة ودوامها على وتيرة واحدة تجعل من الحياة الاجتماعية اشبه شيء بجمهورية النحل ، ولكن المثل الاعلى مدين بوجوده الى الفكر الذي يتطلب الابتكار والابداع. والواقع ان الانسان ليس الا فكر او مادة مفكرة. وان التربية تسعى الى تطور الفكر وتغذيته بالعلوم لتهيء نشئاً جديداً مجهزاً بثقافة عالية يستطيع في المستقبل توسيع نطاق معارف البشر .

فالتربية من الوجهة الفردية تهتم قبل كل شيء بالفكر اهتماماً زائداً لتكوّن قادة تستفيد منهم الانسانية ، ويتميز هؤلاء القادة بثقافتهم ، وعقلهم النير ، وفطنتهم الثاقبة ، وقدرتهم على جمع افكارهم ، ودعم اقوالهم بالحجج والبراهين القاطعة ، ووزن كلامهم ومناقشتها بمنطق سليم على ضوء الحقيقة الراهنة ليبلغوا اعلى درجات حرية التفكير .

وتهتم التربية بتهذيب محاكمة بقية الجماهير ، وتطور ذكائهم ليستطيعوا ادراك وفهم رسالة القادة التي يبشرون بها ويوافقوا بعدئذ على الاحكام التي يتخذها القادة. وان تربية الفرد تفوق هنا تربية الجماهير ما دامت غايتها تكوين رجال يتميزون بافكارهم ، ومعلوماتهم ، واخلاقهم عن بقية الجماهير. فالتربية في حالة مثل هذه لا تسعى الى تربية الطباع بل لتنمية الفكر ، والذاكرة ، والخيال ، والمنطق ، والملاحظات الدقيقة ، والنقد الحر. وكذلك يجب توجيه الطفل الى ممارسة الافكار المجردة ، وتوسيع معارفه العامة ، وتمرينه على النقد الحر . لان الحضارة الحديثة حيث يشغل العمل فيها اكبر مكان ، تعترف باهمية الفكر ما دام الجدل على الانظمة والبرامج يستند عليه . ولا يزدهر الفكر الا باتصاله مع الاعمال الانسانية التي قام بها قادة الفكر في كل دور من ادوار الحياة . والمعرفة لها وجوه عديدة منها الفلسفة ، والعلم ، والتاريخ ، والادب ، والفنون الجميلة ، اقول الفنون الجميلة لان العواطف الفنية التي تمتزج بالحياة تزدهر ازدهاراً تاماً اشبه باللذة الفكرية الناتجة عن حلول المشاكل الاجتماعية وغيرها ، فكيف تكون اذن مزايا الرجل الابتدائي الذي غايته في الحياة الدراسة ، والمعرفة ، والتفكير ؟

لا شك في ان مزايا رجال الفكر تعاكس مزايا رجال العمل ، لانها لا تقدم على نظام عنيف فيه حب السيطرة واخضاع الجماهير للانظمة الجائرة القائمة على التدريب ، وانما هي مبنية على نظام قائم على الاصول والقواعد العلمية الناتجة عن التفكير الحر وادراك الحقائق ، وخدمة المصلحة العامة ، ومراقبة العواطف ، وكبحها

« خرقهم » الرئة ، وتركيزها الى الابد ، في اعمق اغوار كياننا !

واذ يهب ابطال العروبة ، وتثب من كل حدب وصوب شعوبها لدرء الخطر المحدق ، احس واجبي يناديني كشاب يجري في عروقه الدم العربي ، فأتوجه بعد ان مكثت عشرة ايام بين اهلي ، الى مكاتب المطوعة ، ثم الى ساحات التدريب في العاصمة اللبنانية الهائجة!

وها انا ذا اخالني ازيح عن مخيلتك عواصف الذل والالم وهي تولول في قلبك ، وانت تستطلع من المذياع انباء الجهاد في الديار المقدسة ، فازفك البشرى ، باني اشتريت سلاحي وعتادي ، مما اذخرته لمهر عروسي ، وارجأت موعد زواجي الى يوم اعود من ميدان الجهاد ، والنصر حليفنا نحن العرب .

اما اذا قدر لي الاستشهاد ، فاني استشهد قرير العين . وانا آنس برضا المولى والوطن ورضاك . واخيراً ، اودعت القيادة العليا كتاب وصاتي ، وهي ترسله اليك حالما تتحقق خبر وفاتي . اوصيك خيراً بأخي ، واوصي اخي بك خيراً وداعاً ! الله اكبر والنصر للعرب . ولدك سليم .

وما ان تنغلق شفتا الوالد على سكون الميم لآخر حرف من حروف اسم ابنه ، حتى تتناول يده منديلاً كان في جيبه ، ليمسح آخر ما انسرب من عينيه على خديه . وسرعان ما تنفرج شفتاه ثانية عن مثل ابتسامة تقطعها تمتمات عميقة : « طوبى للمجاهدين الابرار ، اخذ الله بيدك يا بني . يا ليتني كنت معك . » .

وهكذا فضل سليم ان ينضوي تحت لواء « فوزي » ويختار عروسه مدفعاً رشاشاً يقض به مضاجع الصهيونيين ، فعبر بذلك عن شعور الكثيرين من شباب العرب في المهجر . .

دكار ـ السنغال

سلمان آمونه

بعقل نير وضمير حر يقبل التطور ويدعو الى التضحية .

فاتجاه الفكر من الوجهة الاجتماعية يوحي بالهدوء ، والسكينة والسلم ، لان الاضطراب يعرقل تقدم الفكر . وعلى الرغم من ضرورة العمل يجب ان لا يشغل جميع مرافق الحياة ويرميها من جديد في الحركة الآلية والفريزية ، بل يجب ان يتبع الفكر وينقاد اليه . وقد لاحظنا في اصول التدريس ان العلوم النظرية تتقدم خطوة العلوم التجريبية التي لا يمكنها بدورها ان تتقدم الا بجهد الفكر الحالي من الغرض . اما القادة فلا يهتمون بالحاجات المادية مطلقاً فيصرفون جميع جهودهم في التفكير .

في الحق نشعر هنا بعدم المساواة ، لان الفكر يختلف باختلاف قوته وفاعليته ، ولكن اذا صفحت التربية عن هذا الخلاف الناشيء عن قوة التفكير وضعفه ، وسعة العلم ، وحدة الذكاء ، فلا يكون هذا الخلاف منغصاً لحياة البشر ما دام يحظى كل منهم حسب قوته الفكرية بالذي يمكن ان يحظى به . وان العقل النير يعاكس فكرة الصراع لانه يفضل الاتقان والمعاونة ، صغياً الى صوت العقل والضمير . وقد تكون مدة هذا الاتفاق طويلة وشاقة غير انها تنتهي خلال هذه المدة بالتغلب على القوة بالحجج والبراهين . ولا يلجأ العقل الى استعمال القوة ضد القوة الا اذا احتاج اليها عالماً منه ان القوة تولد الشر والالم ، واذا فضل العقل الحياة الهادئة ، حياة العلم ، والجد ، والنشاط على الحياة المملوءة بالاتعاب والشقاء ذلك لان غايته اسعاد البشر ومنعهم من الخضوع والتضحية في سبيل فئة لا تربطهم بها رابطة قوية قائمة على فكرة نبيلة .

ولقد ضرب لنا آناتول فرانس مثالاً بنمو فكرة النقد الحر حيث بحث جميع المشاكل الاجتماعية بحثاً دقيقاً قائماً على المنطق السليم والقواعد العلمية ، واظهر لنا مواقع الضعف في جميع النظريات وشك فيها وسعى الى اصلاحها بعد البحث والتدقيق مخادعاً رجال الفكر والعمل الى ان يعتبروه مفكراً خطراً ويسمونه في الشيوعية وهو بعيد كل البعد عنها . فكان آناتول فرانس وديعاً رحيماً بالبشر لانه كان يلمس التفاوت بين عقولهم ، ويفهمهم ، ويعفي منهم . فيرانه محا فكرة الخير والشر ، وشك في بعض الاحيان في الاخلاق نفسها ، كان يكره العمل ، والاضطرابات ، والحركات الآلية التي يتطلبها العمل كما كان يسخر ايضاً من ثورة العاطفة ، والتسامح ، والشفقة التي نخلها بغرباله وترك فيه شيئاً يدل على الانانية .

فاذا كان رجال الفكر لا يحبون العمل الحالي من التفكير لانهم يعرفون حق المعرفة الى اين يقودهم ، كذلك المجتمع القائم على الفكر وحده يكون النشاط فيه ضعيفاً لان حرية النقد الزائدة تؤدي في اكثر الاوقات الى هدم الحرية نفسها ، وتقهقر المجتمع ، وهبوط درجة التفكير فيه الى الدون من مستوى الجماعات . وهذا ما دفع رجال الفكر الى الانزواء في ابراج تفكيرهم المجرد ، وانغماسهم في بحر العلم الواسع الذي لا نهاية له ، يسكرون من نشوة المعرفة ، لا يتمكنون من لمس الامور الواقعية ، ومن قيادة عجلة البشر . وان اولئك الذين يحتلون مكانهم يتمتعون بالنفوذ الذي يخوله العمل ، فتنقلب القيم والمقاييس الاجتماعية الحقيقية من نقص في الوسائل المادية التي وضعت تحت تصرف رجال الفكر ، وتنهدم القواعد الاساسية ما دام رجال العمل يرفضون البقاء تحت حكم رجال الفكر .

في الحق ان المثل الاعلى للفكر لا شك في انه اخف وطأة من خطر المثل الاعلى للعمل ، لان رجال الفكر لا يضغطون على الضعفاء ويستعبدونهم بقدر ما يضغط عليهم رجال العمل ويستعبدونهم . كما وان اخلاق رجال الفكر الذين يبحثون عن لذة الجمال والفن الطاهرة تفوق اخلاق رجال العمل لان اللذة المادية تناكد صفو الفكر وتحيد به عن الطريق الذي يتبعه . ولكن هل تظفر الجماهير المحدودة الثقافة بالاستقلال في الاخلاق ، وقهر النفس ، وكبح العواطف ؟ وهل تؤيد رجال الفكر عندما يشعرون بعدم مقدرتهم في تحديد قوة رجال العمل ؟ اذا لم نبدل النظام القائم على العادات والتقاليد البالية ، وان لم نفهم الجماهير معنى الحرية والتضحية النبيلة فجميع المؤسسات القائمة على التسامح والشك كالمؤسسات القائمة على القوة ، والسيطرة ، واخضاع الجماهير تتعرض حتماً للانهيار .

وان الحضارة القائمة على الفكر وحده لا يمكنها ان تعيش الا منعزلة عن العالم لتأمين جانب الخطر ! وان الحضارة التي تقترب منها هي الحضارة الصينية القديمة التي كانت تحتقر الصراع وقوة السلاح . كانت تسلية الادباء في ذلك العهد تقوية الذاكرة ، وتنمية الذكاء ، وتوسيع العلم . فوصلت تلك الحضارة مع مرور الاجيال الى حضارة ارقى من الحضارات الغربية ، ثم ظلت سكرى سنين عديدة من نشوء المعرفة دون ان تلمس الامور الواقعية فانهارت ساعة اتصالها بالحضارة الغربية القائمة على العمل . فاذا كان العمل وحده او القوة وحدها لم تؤد الى النتيجة التي يتوخاها البشر ، فالفكر وحده ايضاً لم يؤد الرسالة المنشودة .

حلب — فؤاد ماردبني

انوار

☆☆☆

طابت بك الايام وافرحتاه … انت الاماني والغنى والحياه

فليذهب الليل غفرنا له … ما دام هذا الصبح عقبي دجاه

يا من خفت والفجر من دارها … شعشع في الآفاق ابهى سناه

قد طرق الباب فتى متعب … طال به المسير وكلّت خطاه

نقّـل في الايام اقدامه … يبغي خيالاً ماثلاً في منـاه

عندك قد حطّ رحال المنى … وفي حمى حسنك ألقي عصاه

كم هدأ الليل وران الكرى … الا اخا سُهدٍ يغني شجـاه

ناداك من اقصى الربى فاسمعي … لمن على طول الليالي نداه

نادى اليفـاً نام عن شجوه … عذب تجنّيه ، عزيز جنـاه

احبك الحب وغنّى به … عف الاماني والهوى والشفاه

وانما الحب حديث العلى … انشودة الخلد ونحن الرواه

القاهرة — دكتور ابراهيم ناجي

من ديوان « ليالي القاهرة » وهو تحت الطبع



ثلاثون عاماً من سوريا ولبنان

30 years of Lebanon and Syria — 1917 - 1947

للآنسة اوجيني ابو شديد – ٦٢٩ صفحة – مطابع صادر وريحاني – بيروت

اذا فتحت اي كتاب «اجنبي» يبحث في آداب اللغات الاجنبية وقعت على دراسة خاصة لفرع « التاريخ » ورأيت ان الانكليز مثلاً او الافرنسيين يدرسون مؤرخيهم وينقدون آثارهم ويعنون بانتاجهم كما يدرسون الشعراء والروائيين والقصاصين والنقاد ، فالتأليف التاريخي عندهم نوع ادبي هام كسائر الانواع الادبية له وزنه وقيمته بين آثار الفكر ومنتجاته .

اما نحن ، اعني ابناء البلاد العربية ، فاننا لم نوفق بعد الى تبويب الانواع الادبية ، ولا الى تصنيف الكتاب ، كل بحسب وجهته واختصاصه في الانشاء والتأليف .

تأمل ان قدامى العرب بلغوا من العناية بالتاريخ ، والرعاية للحوادث وتدوينها ما لم تبلغه في ذلك امة قبلهم ، ولدينا من اعلام المؤرخين سلسلة تمتد مع الايام والاحقاب لمعت فيها اسماء يجهلها الناس جهلاً يكاد يكون مطبقاً ، حتى طلبة المدارس الثانوية منهم ، فالمسعودي والطبري واليعقوبي والبلاذري وابن الاثير والدينوري وياقوت الحموي والاصبهاني وابن ابي الحديد وغيرهم وغيرهم . . . مما لا يحصيه عد ، يرجع اليهم الباحثون والنقاد كمصادر ، ولكن لا يتحدث عنهم احد كأدباء ومؤلفين ، ولا يلتفت اليهم احد كاشخاص لهم اثرهم الفعال في حفظ الثقافة العربية وصون كنوزها ، ثم في قيمتهم كمفكرين كانت لهم آراؤهم في الحوادث ومجاري التاريخ .

هؤلاء اهملهم المتأخرون ، وضربوا عن جهودهم وافكارهم صفحاً ، ولم يستثنوا منهم غير ابن خلدون ، وعنايتهم بابن خلدون نفسها انما كانت لسببين : اولهما ان ابن خلدون فيلسوف اجتماعي اقام له الاجانب وزناً فتبعهم منا المقلدون ، وثانيهما ان الرأي السائد كان بادىء الامر يجعل من ابن خلدون فيلسوف الشعوبية ، فراح الاجانب يستغلون الظاهر من شعوبيته لتشويه التاريخ العربي والزراية بالعرب وحياتهم وتاريخهم واخلاقهم !

تأمل اذن هذا الاهمال منا لمؤرخينا ، ثم لاحظ رعاية الغربيين لكتاب التاريخ منذ القرون الوسطى الى يومك هذا ، تجد ان قيمة ميشيله الافرنسي – وهو مؤرخ – لا تقل لديهم عن قيمة لامرتين الشاعر ، وتجد ان ماكولي وكرلايل المؤرخين الانكليزيين يدرسها الطالب الانكليزي كما يدرس شكسبير وبيرون !

لا اقصد من ذلك الى اظهار فضل المؤرخ ، وتوجيه العامة نحو الاعتراف بذاك الفضل وتقديره فحسب ، وانما اريد ايضاً ان يتجه نقاد الادب عندنا الى دراسة المؤرخ كشخصية انسانية ، وكتابة التاريخ كنوع ادبي مستقل بذاته ، لأن كتابة التاريخ مرت بأطوار وتجارب ، وطرأ عليها من التغيرات والتحسينات في الاساليب وطرائق البحث والاداء ما جعلها فناً قيماً يمتع ويسر ويفيد في آن واحد .

لقد نبغ لدينا في الآونة الاخيرة نفر من المؤرخين اصطنعوا الاساليب الغربية في الدراسة والاسلوب والبحث التاريخي ، ووفقوا الى تجديد التأليف التاريخي بعض التوفيق كجرجي زيدان الذي عني بكتابة التاريخ الاسلامي في شكل روائي ، واحمد امين الذي ارخ الحياة العقلية في فجر الاسلام وضحاه ، وطه حسين الذي حاول تجديد النقد الادبي ، فجدد كتابة التاريخ في « هامش السيرة » و« الفتنة الكبرى » الخ . .

ولكن لدينا ايضاً من كتب التاريخ العربي باللغات الاجنبية واصطنع الاسلوب الغربي في كتابته كما فعل ادوار عطية في كتابه عربي يروي قصته « An Arab tells his story » وجورج انطونيوس في « يقظة العرب » « The Awakening of the Arabs » . وكان آخر من وفق في هذه الناحية الاستاذ فيليب حتي في كتابه History of the Arabs الذي نقلته « دار العلم للملايين » الى العربية .

بيد ان الاحداث التي تعاقبت على سوريا ولبنان خاصة منذ الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا ، لم تجد من يؤرخها باسلوب جديد ، وطريقة عصرية ، غير آنسة لبنانية هي « اوجيني ابو شديد » في كتابها ثلاثون عاماً من سوريا ولبنان الذي بدأت بطبعه مطابع صادر وريحاني في بيروت ، وانتهت منه مطابع الكشاف

في بغداد عام ١٩٤٨ .

هذا كتاب تاريخ يروي قصة ثلاثين سنة عاشها البلدان لبنان وسوريا منذ سنة ١٩١٧ حتى نهاية ١٩٤٧ وقد رافقت الكاتبة اهم ما جرى في هذين البلدين ابان تلك الحقبة ، ووعته بروحها وقلبها ونشاطها ، اعني خروج فرنسا منهما ، ودخولها في عهد جديد، فكان منها ان تحدثت الينا عن اشياء رأتها بعينيها، وسمعتها بأذنيها، وشاهدت آثارها في حياتها، وحيوات معاصريها ومعاصراتها، اي في حيواتنا نحن ابناء لبنان وسوريا اليوم .

وللتاريخ على لسان فتاة مثقفة، رفيعة التهذيب ، رحبة الافق، نيرة الذهن كالآنسة اوجيني روعة ومتعة وفائدة لا يرقى اليها حديث الرجل ، اي رجل ، لان المرأة ، على وجه الاجمال ، تملك من الالمعية والنفاذ ما يمكنها من ادراك الباطن وراء الظاهر ، ولها من دقة الملاحظة ، والجلد على التأمل الطويل ، ما يعينها على ضبط التفاصيل وجمها وتركيزها ، فلا هي تغفل عنها ، ولا تترك لها التفلت والاختفاء .

قدم معالي الاستاذ كميل شمعون هذا الكتاب ، وهو ممن رافقوا تطور التاريخ اللبناني - السوري مرافقة تامة في هذه الحقبة، فقال ما ترجمته : « هذا كتاب لا يغفل شيئاً ، ولا يضل فيه قارئه عن شيء ، فهو يعرض الحوادث عرضاً موضوعياً ، ويعنى بالتفاصيل ويتجنب التجني في الاحكام » .

والواقع هو ما قاله معالي الاستاذ شمعون في مقدمته ، فان المؤلفة لجأت الى طريقة شائقة امينة في آن واحد ، وهي سرد اقوال اساطين السياسة المسؤولين ، وترتيبها مع التاريخ والاحداث عن بوانكاره ، الى روبيرده كه ، الى الجنرال دهغول، الى تشرشل الى الجنرال كاترو ، ثم قسمت كتابها الى اربعة اقسام: تحدثت في الاول عن تتويج المغفور له الملك فيصل الاول على سوريا ، ومؤتمر سان ريمو ، ثم فصلت مراحل الانتداب الافرنسي، وتجزئته للبلدين : لبنان وسوريا ، وعرضت لاهم الاحداث والثورات عهد الانتداب .

وتحدثت في الثاني عن استقلال البلدين وكفاحهما من اجل نيله والاعتراف به من اعادة الحياة الدستورية، الى وثبة لبنان في تشرين الثاني ١٩٤٣ ، الى قضية المصالح المشتركة وتصفيتها ، الى ما رافق ذلك من شؤون وشجون .

وتحدثت في الثالث عن الازمة التي مر بها البلدان عام ١٩٤٥ يوم اصرت فرنسا على عقد معاهدة وعلقت جلاء قواتها على قيام تلك المعاهدة ، وحدث ما حدث من ضرب دمشق ثم هدوء العاصفة بتقرير مبدأ المفاوضة ، ثم اقرار الجلاء .

وتحدثت في الرابع عن الجلاء، ودفع القضية الى مجلس الامن، وموقف روسيا الى جانب لبنان وسوريا الى ان تم الجلاء اخيراً عن لبنان في ٣١ كانون الاول عام ١٩٤٦ .

وختمت كتابها بملحق عن انتخابات ١٩٤٧ واصدائها في داخل البلاد وخارجها ، كما ذكرت نص ميثاق الجامعة العربية ، ونص الدستور اللبناني في صيغه الثلاث التي اعلنت عام ١٩٢٨ و١٩٢٩ و١٩٤٣ ليتاح للقارىء الاجنبي ان يطلع على الفروق والتعديلات التي طرأت عليه .

هذا هو كتاب الآنسة اوجيني ابوشديد في موضوعاته وابحاثه غير ان الشائق فيه هو حديث الآنسة عن الوقائع التي شاركت فيها، وكانت على مقربة منها ، كتظاهرات نساء لبنان يوم اعتقل رئيس الجمهورية ، واعتقل وزراؤه معه ، وثارت البلاد تطالب باعادة حقها السليب في الحياة الدستورية الصحيحة .

وهي تتعرض لرقي المرأة في البلدين بحماسة وتفاؤل ، ولا تنسى ان تشير الى ما حققته في الثلاثين عاماً من تقدم وما سجلته من خطى نحو التحرر والمساهمة في الحياة العامة .

ولكن اطرف ما في الكتاب هو هذا الاسلوب في تناول التاريخ وعرضه من جمع وتأليف ، وبناء الاحكام على ملاحظات وتقارير رسمية ، وتدوين تفاصيل ذات دلالة ومغزى رغم ما هي عليه من ضآلة تترك الناس لا يهتمون بها في حياتهم العادية .

اتكون المرأة عندنا اقوى من الرجل في درس التاريخ وعرضه؟
- لا ادرى . ولكن هذه التجربة التي قامت بها الآنسة ابو شديد توحي هذه الفكرة !

عبد اللطيف شرارة

همس الجنون

للاستاذ نجيب محفوظ - ٣١٥ صفحة - لجنة النشر للجامعيين - القاهرة

نجيب محفوظ فنان الطبيعة البشرية .. اخص خصائصه انه يرسم لك الصورة الواضحة الملامح ، الدقيقة السمات ، ويعرض عليك قطاعاً حافلاً من الحياة تحس فيه نبض الشعور ، ورفرفة الروح ، وجرس الحركة .

« فالقصة - عنده - جسم وروح .. جسم يؤلف من سلسلة الحوادث المرتبة ترتيباً فنياً .. وروح يؤلف من الشخوص الحية ، وسيكلوجية القصة، وتصوير الزمان والمكان وغير ذلك من القيم [1] » .

---

(١) الجزء الاول من السنة الاولى من مجلة العالم العربي .

وهذا مفتاح فنه . . . وتستشف من خلاله مذهبه القائم على ادراك قيمة الاطـار الفني للصورة المرسومة ، والاهتمام بالشخوص الانسانية (الحية) وتصوير نزعات وجدانهم ، وخفقات رغائبهم ، وومضات شعورهم ، وفق ما تمليه الظروف الزمنية ، والاحوال المكانية ، واختلاج الاماني والاحلام في قلوبهم من غير محاسبة ، ولا محاكمة لما يظهر الشخوص من سلوك وتصرفات . . لاننـا لا نستطيع ان نحاكم الحياة التي خلقتنا ، ولا ان نحاسبها على سلوكها ، ما دمنا نعترف بأثر البيئة والزمن الوقتي كما يعترف المؤلف .

ذلك رأي المؤلف ومذهبه في القصة ، ولنا عودة في مجـال التفصيل والدراسة في وقت آخر . . وليس لنا ان نناقشه فيه لانه قائم على اعتبار الفنان ابناً للحياة لا يخرج عن واقعها ، ولا يتغلغل في سحب الاحلام ، او يقبع في برج عاجي يرقب الانسانية عن بعد ولا يحس بما تحس به من كثب . .

والكتاب الذي اعرضه عليك يجمع اقاصيص الاستاذ محفوظ في اول عهده في كتابة الاقصوصة ، ومعالجتها ، نشرهـا في مجلة الرواية منذ اكثر من عشر سنوات .

ولمجلة الرواية اياد سابغة — ولا نكران — على الادب العربي ، والقصة العربية بالذات . . لانها خلقت في عهد كانت القصة العربية الناشئة احوج الى منهج خاص بها ، واياد ترعاها . . وقد استطاعت الرواية ان تخلق جيلاً قصصياً ، وتزود الادب العربي بهذا اللون الجديـد الجميل من الفن ، واعني القصة مترجماً عن عيون الادب الغربي ، وموضوعاً باقلام قاصين عرب موهوبين . . وقد اسبغت الرواية على قصصها طابعاً متميزاً من الاسلوب المتأنق في اختيـار الالفاظ ، وحشو الكلمات الرنانة ، والتعابير البلاغية الاثرية .

ولهذا فنحن لا نعدم في هذا الكتاب من اثر ذلك الطابع المتميز . . ولست ادري اكان ترضية لصاحب الرواية ، ام هو ميزة من مميزات بدء السير في طريق الكتابة .

والشيء الذي اثلج صدري ان الاستاذ نجيب محفوظ استطاع — على كثرة ما كتب من الاقاصيص ، وفي تلك المدة المتقدمة — ان يحافظ على معنى الاقصوصة في العصر الحديث . . وهي كما يعرفها سومرست موم «بأنها جزء من رواية ، تتعلق بحادثة واحدة ، حية او روحية ، ويمكن قراءتها في جلسة واحدة ، على ان تهزنا ، وتترك فينا اثراً ، ويجب ان تكون فيهـا وحدة اثر او تأثر ، او تتحرك في خط واحد من بدايتها حتى نهايتها » وهـذا التعريف بالرغم من بعض التعديل الذي اجري عليه في آراء بعض الكتاب المعاصرين فانه لا يزال يحتفظ بميزاته الاصلية . . وهو على كل حال غير ما يعرفه اكثر الذين يملأون جرائد مصر ومجلاتهـا من القصصيين ؟ فتراهم يلخصون لك رواية ، ويشعبون لك الحوادث ، ويعوجون لك الطريق . . ولا يحتفظون بشيء غير اننا نستطيع ان نقرأ قصصهم في جلسة واحدة لا لقصرها بل لاننا لا نستطيع ان نمضي معها الى النهاية ، ونحتمل الصداع . .

واقاصيص نجيب محفوظ هذه هي البذرة الاولى لفن انساني . يظهر فيها محفوظ مضطرب الخطى ، يتلمس الطريق الذي يريد ان يسلكه ، ويتلمس مواقع التأثير بالنفوس ، ويتلمس الصور اللائقة بعرض القصة عرضاً يرضي ذوقه وعاطفته ، فيتحول من طريق الى طريق ، ويبالغ في حشر الانفعالات والاحاسيس ليستدر عطف القارىء ، ويؤثر في نفسه ، ويحاول جاهداً ان يحشر كثيراً من الجمل الحـائرة التائهة المرصوفة رصفاً والبلاغية وصفاً — ومعذرة لمن يضيقون من السجع .

وتبدو من هذه الاقاصيص نفسية الشاب المضطرب ، ونفسه الحائرة ، وتفكيره المعتمد على التهويل او الغلو في الاحلام . ففيم يفكر الشباب ؟ والى م يتطلع ؟ وماذا يحب .

تجيب اقاصيص هذه المجموعة على هذا السؤال بأن الشباب لا يفكر الا بالحب ، ولا يتطلع الا لوظيفة ، ولا يحب الا الاوهام . .

واغلب اقاصيص محفوظ لا يعدو ركضاً وراء حب ، او تطلعاً الى وظيفة ، او استراقاً لمتعة صبيانية ، من غير كبير اهتمام بالشخصيات ، فتبدو باهتة غير واضحة السمات تمر بها ، فلا تعجبك سماتها ، ولا تستحوذ على اعجابك .

انا اتكلم عن اقاصيص نجيب محفوظ وليس قصصه الكبيرة ، فاياك والخطأ . . فهو برزخ واسع يفصل بين اللونين .

تلك النفسية المضطربة التي كتبت لنا هذه القصة تكفر كفراناً هائلاً بالعائلة ، وبالرباط المقدس ، حـتى ليخيل اليك وانت تقرأ بعض الاقاصيص التي تعرض الخيانات الزوجية ان العائلة المصرية في خطر ، وأنها على شفا حفرة من هوة سحيقة .

زوج يتوجس خيفة من خيانة زوجته ، وام تخرق حرمة بنتها لتغازل عشيقها الدخيل ، ورجل كريم لا يتطرق الى قلبـه شك في اخلاص زوجته له ، وايثارها اياه ، يصدق هذيان الحمى التي اصابت زوجته . .

ولا يكاد يعرض لنا المؤلف اسرة منظمة الاركان ، تسري فيها روح الثقة والاخلاص .

وليست هناك اقاصيص ظهر فيها التكلف — في هذه المجموعة — ظهوراً بيناً مثل ظهوره في اقاصيص الحيـانات الزوجية .. والله يعصمنا من شر الخيانة ..

في «كيدهن» يتزوج جمال بك ذهني وهو في الخامسة والاربعين من فتاة في العشرين، ويمضي معها عشرين سنة هادئاً لا يثور، مؤمناً لا يشك بأخلاص زوجته .. فما ظنك في ان الشيخ وهو قد ذرف على الخامسة والستين يشك في زوجته التي جاوزت اربعين حجة، ويطاردها في رواحها ومجيئها، ويقتحم عليها خلوتها وحدتها؟

وفي (الهذيان) زوجة تهذي من الحمى فتنطق بكلمة راشد فيخيل الى الزوج ان زوجته خائنة، فيسعى الى تعجيل موتها حتى اذا تخلص منها ذلك النخاس العجيب، القى بنفسه في اليم تخلصاً من هذه الحياة .. المضحكة .

وفي (نكث الامومة) يعرض علينا موقف ام من ابنتها واي موقف !! يثير في نفوسنا كثيراً من الحرج، وكثيراً من التحفظ .

وما ظنك بأم تغار من ابنتها اشد الغيرة، وتقف امام زواجها ؟ وما رأيك في انها تدبر مكيدة غاية في الحماقة وهي ان تهيأ الجو لعشيقها — اي عشيق الام — ليخلو بابنتها خلوة غرامية ثم ترسل رسالة الى خاطب الفتاة تنبئه بأمر هذه العلاقة، وتنصحه بمراقبة الخطيبة؟!

ولكن هذه المآخذ في بعض اقاصيص المؤلف تقف بازائها محاسن تبشر بمستقبل زاهر، ونتاج من الفن الانساني الرفيع . وقد تحقق ذلك في قصص نجيب في السنوات الاخيرة .

ونحن لا نعدم الاداة القصصية الفنيـة، ولا الموهبة العميقة الاغوار في نفس المؤلف ونحن لا نعدم المقدرة القصصية الفائقة على انشاء الجو، واجراء الحوار غير المتكلف، ورسم الصورة المنتزعة من صميم الحياة .

فالموهبة الفنية تلوح في هذه المجموعة اما سافرة واضحة المعالم، واما مختفية وراء بعض التكلف الذي تقتضيه السرعة، وفقدان التأني في تلك الآونة من حياة المؤلف ..

والموهبة تظهر بجلاء، ووضوح في تلك المواضع التي يكلف فيها المؤلف نفسه على سجيتها، وينطلق في جوه المحبوب، جو الطبقة الشعبية ..

فنجيب محفوظ مكلف في عرض الحياة كما هي كائنة لا كما يحسن ان تكون وذلك منطق الواقعيين ..

ومكلف بالبيئة الشعبية لانه قادر على النفاذ الى اعماق افرادها، وسبر اغوارهم، والمضي معهم في طريق حياتهم ذي الاشواك . وهو يضرب على وتر حساس ينبض له القلب، وتخفق له الجوانح، ويتوخى دائماً تصوير الشخوص الانسانية .

وعلى رغم ان قصصه الكبير احفل من اقاصيصه بالشخصيات الانسانية فان تلك الاقاصيص لا تخلو من هذه الشخصيات وآية ذلك أنك تستطيع ان تلمس تلك الشخصيات في «ثمن السعادة» و«هذا القرن» و«روض الفرج» و«بذلة الاسير» و«الجوع» ولو انها لم تشفع بالرؤية الكاملة، وبالرسم الشامل الكامل .

والمقدرة الحوارية تتجلى في بعض اقاصيصه رائعة حتى يرسم لك بها مشهداً تمثيلياً طريفاً ينبض بالحياة، وانك لترى اقصوصته «هذا القرن» فصلاً مسرحياً كاملاً لا ينقصه اي عامل من عوامل النجاح في المسرحية الفنية .

وهذه المقدرة — اي مقدرة الحوار — تجلت في عمله الكبير الاول واعني به (كفاح طيبة) وازدهرت في عمله الثاني واعني به (رادوبيس) حيث كانت اس نجاح تلك القصة الرائعة تتمثل في الحوار الجاري في مجرى سهل، وفي الاحكام في البناء القصصي، وفي تسلسل الحوادث تسلسلاً بعيداً عن التكلف .

ونحن نستطيع ان نلمس من غير كبير عناء شخصية الكاتب المطبوعة، والتي سايرته في كل عمل من اعماله التي اخرجها للجمهور .

فالروح القومية الرائعة التي تجلت في اقصوصتي (الشر المعبود) و(يقظة المومياء) في هذه المجموعة هي التي ازدهرت فأثمرت (عبث الاقدار) و(رادوبيس) و(كفاح طيبة) .

والروح المتذمرة من العلائق الزوجية التي اخرجت (كيدهن) و(مذكرات شاب) هي التي اينعت فأثمرت (القاهرة الجديدة) والتي ابعدها المجمع — مجمع فؤاد الاول للغة العربية — عن مسابقته الادبية لان بطلها قوّاد !!

والروح الانسانية التي اخرجت (روض الفرح) و(هذا القرن) و(بذلة الاسير) و(الجوع) هي التي اثمرت (خان الخليلي) و(زقاق المدق) .

ان نجيب محفوظ اليوم غير نجيب محفوظ امس . لان الخطط الباهتة، والاضطراب في الخطى، قد زالت، وتألق فن محفوظ الخالص من غير شائبة .

ولم يبق الا تلك الفلسفة المتذمرة . فلسفته التي صحبته في كتاباته ولم يتخلص منها قيد قصة — ان صح هذا التعبير .

القاهرة **غائب طعمة فرمان**

دار مجلة «العالم العربي»

جولة الأديب في شهر

السلطان اكبر

بقلم سلامة موسى

حوالي سنة ١٥٧٠ كان في الهند ملك يدعى جلال الدين محمد اكبر. وكان قد اصابته حيرة المفكرين. فعمد الى بضعة اطفال جمعهم يوم ميلادهم. ثم وضعهم في بيت خاص ووكلهم الى مشرفين قد امروا الا يخاطبوهم بأية لغة. وكان يرمي من ذلك الى ان ينشأوا وهم احرار لم تلابسهم عادات المجتمع ولا كلماته التي تعين الافكار والتقاليد. ثم يراقبهم كي يعرف ما هو الدين الحق دين الفطرة التي يمكن ان ينشأوا عليه دون تلقين او تعلم.

ولكنه بعد سنوات من هذه التربية عاد فامر بالكف عنها. لانه وجد ان هؤلاء الاطفال نشأوا خرساً لا ينطقون بل ولا يفكرون سوى تفكير العاطفة البدائية اي الرغبة في الطعام والشراب وما اليها.

ومع السخافة التي تنطوي عليها هذه المحاولة فانها تدل على ذهن تجريبي وعلى رغبة في الفهم وتعمق في المشكلات الدينية التي لا بد ان « اكبر » قد عانى كثيراً من القلق والارق بشأنها.

ويعد العصر الذي تولى فيه اكبر الحكم ازهى العصور في الهند. وهو يطابق عصر الملكة اليصابات في انجلترا كما يعاصره في الزمن. فان بلاط اكبر كان حافلاً بالشعراء والادباء والفنانين من الفرس والاتراك والعرب. وكان اكبر نفسه يجهل القراءة ولكنه لم يكن مع ذلك امياً. فانه جمع في قصره آلاف الكتب وكان يستمع الى القراء الذين يتلون عليه هذه الكتب بل كان يناقش مجالسيه ومسامريه في موضوعاتها المختلفة. ولكنه مع اشتغاله بهذه الشئون الثقافية كانت بؤرة الاهتمام عنده تلك المشكلة الدينية او اليقين الديني، وهي المشكلة التي حملته على جمع هؤلاء الاطفال كي يعرف ما هو الدين الطبيعي اي ذلك الدين الذي ينشأ عليه الانسان بفطرته بلا تعليم.

ونحن نستطيع ان نستخف هذه المحاولات او التجارب. ولكن يجب الا ننسى النية الحسنة التي دفعته اليها. فانه كان يتولى الحكم على نحو ١٠٠ مليون من المسلمين والهندوكيين. مع قلة من المؤمنين بالاديان الاخرى، وكان يبصر بالحزازات والتعصبات الدينية وينشد وفاقاً لهؤلاء الملايين. ولهذه الغاية كان يستوزر الهندوكيين والمسلمين كما انه ألغى الجزية عن غير المسلمين وجعل جميع افراد رعيته سواء في الضرائب وكان هذا النظام من العدل بحيث استطاع ان يثبت الى العصور الحديثة.

واخذ اكبر في درس الاديان بالروح العلمي دون الروح التسليمي. وكان مخطئاً في ذلك. فانه خرج من المقارنات بين الاديان وهو غير قانع بيقين. ثم جمع فقهاء الاديان الاربعة الكبرى في عصره. وهي الاسلام والمسيحية واليهودية والهندوكية. وطلب منهم ان يتفقوا في مؤتمر على دين عام تؤمن به الهند جميعها وكان يسميه « الدين الالهي ». ولكن هؤلاء الفقهاء لم يكادوا يشرعون في هذه المهمة ويجتمعون في المؤتمر حتى انتهوا الى الخلاف الحاد. فانفضوا، وهذا ما كان ينتظر.

ولكن اكبر لم يرجع عن غايته فانه استحال من ملك الى نبي ودعا في حماسة الى «الدين الالهي». وهو اشبه الاشياء بالبهائية في عصرنا. فانه مزيج من جميع الاديان. وكان يعتقد ان مثل هذا الدين يجب ان يؤمن به الجميع لانه مستخلص من اديانهم جميعاً.

ولكنه وجد الصدود. وخاصة من المسلمين الذين يعدون انفسهم الشعب السائد الذي قاتل وحارب في الفتح واستولى على البلاد. وقد حدث حادث جعل اكبر نفسه يتردد بعض الوقت في هذه الدعوة. فانه دخل المسجد ذات يوم وام الصلاة لاجل هذا « الدين الالهي ». فلما صعد على المنبر احس رعدة فلم ينطق بكلمة وتزل مسرعاً. وليس شك ان هذا الموقف الرهيب قد زعزعه ولكنه عاد الى هذه الدعوة التي كادت تحدث فتنة. حتى ان احد ابنائه ثار عليه بعد ان جمع حوله الساخطين. ولكنه انهزم.

ومات اكبر في سنة ١٦٠٥، وماتت دعوته معه. ولكن روح التسامح الذي كان يعم الهند في سني حكمه بقي الى ما بعد وفاته بمائتي سنة. فان الهندوكيين والمسلمين لم يتصادموا وكانوا يذكرونه بالاكبار والاعجاب. كما ان غاندي قد التفت اليه وعده من عظماء الهند.

وقد رأينا في حياة غاندي مثالاً آخر من هذا الروح. فانه عاش حياته وهو في تجارب دينية حملته على دراسة القرآن والانجيل والفيدا وغيرها. وكانت غاية غاندي هي نفسها غاية اكبر، اي الوفاق بين الهندوكيين والمسلمين.

هل في مصر مثقفون ؟!

●

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

●

يخيل لي احياناً ان الناس في مصر من حيث القراءة ينقسمون الى اربع طبقات: اميين. وانصاف اميين. ومتعلمين ومثقفين. واذا صح القول ان الانسان «حيوان قارىء» فان الاميين مع الاسف لا ينتسبون الى ابناء آدم، والذنب بالطبع ليس ذنبهم وانما ذنب الحكومات التي تتعاقب ويكون محو الامية لديها مجهوداً على هامش ما ينوء به برنامجها من المجهودات.

ويعجبني قول البكري:

لا تعجبوا للجهل يغشى امة — فتنوء منه بفادح الاثقال
الم الرعية كالعقاب لجهلها — الم المريض عقوبة الاهمال !

فلندع جانباً هؤلاء الذين قضى عليهم سوء الطالع ان يظلوا اميين. ولنتحدث عن لون آخر من الامية. ذلك اللون شائع جداً، وهو على طبقتين: طبقة صاحب المهنة التي ما يكاد يحصل على اجازته بها حتى يتخذها وسيلة لكسب العيش، فقلما يقرأ شيئاً بعد الحصول على اجازته يختص بمهنته، اما خارج المهنة فمستحيل ما دامت المهنة نفسها لا تحصل الا على قسط قليل جداً من الاستزادة والتحصيل. ولنا من اصدقائنا صديق فيلسوف من عادته ان يقول لك « فلان حكيم امي » او « فلان مهندس امي » يعني بذلك انه صاحب مهنة وحسب. اما اللون الثاني من الاميين فهو ذلك اللون الذي يصطبغ به كثيرون جداً لا يعرفون من العلم الا ما يحصلون عليه من المجلات والجرائد. وقد كان الجاحظ يصف هذا الطراز بانه « صحفي خطاف» يقصد بكلمة « صحفي » بفتح الحاء. ذلك الذي يأخذ من الصحف، ويقصد بكلمة خطاف انه يتخطف المعلومات من هنا وهناك. انا لا اعيب على الناس قراءتهم للصحف والمجلات. وانما اعيب عليهم ان يكون كل بضاعتهم من المعرفة، جريدة يصبحون عليها ومجلة يغمضون اعينهم على محتوياتها عند الدخول الى الفراش. ولقد رأيت في حياتي من هذه الامية عجباً كثيراً. فلقد زرت اديباً مشهوراً فلم اجد على مكتبة الا قاموس لسان العرب. فلما سألته اين مكتبتك ؟ قال القاموس! فضحكت قائلاً هنيئاً لك هذه الامية !

لقد حرصت على ان لا ادعو هؤلاء متعلمين، مهما كان مركزهم ومهما كانت الاجازات الدراسية التي حصلوا عليها. ولقد حرصت كذلك على ان لا ادعوهم انصاف متعلمين. لان كلمة المتعلم عندي كلمة محترمة لا يجب ان تنطبق الا على الذين يدرسون دراسات منظمة عميقة مستمرة، والذين يقتطعون من ميزانيتهم مبلغاً خاصاً من اجل الكتب الجديدة، مع استذكار ما بالكتب القديمة من تراث جليل. وان كنت اميل الى ان الصق بالمتعلم تهمة او تهمتين، وقد يبدو ذلك غريباً. وقد يبدو انني لا يعجبني «المتعلم» والواقع انني يهمني جداً ان يفرق الناس بين المتعلم والمثقف. فالتهمة الاولى التي تلصق بمحصل العلم من اجل العلم، انه يفرق بين ما استحدث من العلم وما قدم فيتحيز الدراسات الكلاسيكية او العكس. والثانية انه يجعل همه الاستزادة، وتغذية الذهن بالمعلومات. اي انه يفصل العلم عن الحياة، بمعنى ذلك انه لا يجعل للعلم تدخلاً فيما يمارسه من فنون الحياة، الا من حيث التطبيق العملي الذي يكتسبه من القراءة، اما المثقف فهو رجل يستقبل الموكب المحملة بالكنوز من اي قطر جاءت وباي انواع من الكنوز حملت، فمجرد العلم له طابع محلي، وكذلك الادب، ولكن الثقافة شيء عام متجرد من المحلية والخصوصية. وزيادة على ذلك فالرجل المثقف يتذوق الثقافة بدون ان يلتفت الى قديمها او حديثها. وفوق ذلك فانه لا يقيم حاجزاً بين ثقافته وحياته تلون ثقافته. وهنا اقف لانفذ بكل ابصاري الى ثلاث جماجم، جمجمة امي، وجمجمة متعلم، وجمجمة مثقف فاذا سلطت الضوء على الاولى فاني اجد مساحة ضيقة مظلمة، تملؤها اشباح تروح وتجيء، وبين هذه الاشباح وتلك رموز مبهمة، وخيال حيوانية جائمة، اما الجمجمة الثانية فاني اذ اسلط الضوء عليها، المح جهازاً ميكانيكياً يسجل صوراً مادية متشابهة، مستمدة من صلة المتعلم بالاشياء، صلة لا تتعدى الواقع الجاف الملموس. اما اذا سلطت الاشعة على الذهن المثقف فاني المح وشائج تجمع بينه وبين الذهن الفني. المح اولاً ان الحاجز العظمي من الجمجمة يرق حتى يكاد ينمحي. اى ان هناك اندماجاً مع الحياة والاحياء، والمح ثانياً ان الصور الجافة التي في ذهن المتعلم، قد غمرتها الوان متعددة كسماء يموج فيها قوس قزح على هواه. واذا بالحقائق المادية الجافة

قد اكتست ثياباً مختلفة غيرت من جفافها وخشونتها . ورققت من صعب خلقها كما وصف ابو تمام الماء والراح . ذلك ان المثقف رجل لا يرى الدنيا بعين واحدة، ولا من زاوية واحدة، بل هو يرى بمقدار العيون التي رأت له في الكتب الخالدة التي قرأها . وبمقدار الزوايا التي نظر منها الخالدون الذين نقب في آثارهم الباقية . وقد تحسب تلك العيون المتعددة والزوايا المختلفة مما يؤدي الى الارتباك والخلط، والواقع ان هذه العيون وهذه الزوايا ، انما رأت الرجل المثقف ما فاته ان يراه او جسمت له ما رآه رؤية ضعيفة فهو في الواقع يلمح بواسطتها مختلف القيم الجمالية المنبثة في العالم والتي يغفل عنها الامي والمتعلم ، ويراها الفنان او المثقف . فالمثقف حين تعترضه ازمه من ازمات الحياة ، فيطرق واجماً وهو يفكر فيما عرض له ، وتتتابع في ذهنه صور ما قرأ وما مر عليه من الشخصيات في كتب العباقرة كالمتنبي وابي تمام وابي العلاء ودكنز وديستوفسكي فكلما عرضت له صورة ، او لفظة ، او حادثة مما مر عليه في قراءته ، عرضت له شارحة ما في الكون من جمال ، وما يستتر خلف كل صغير من امر عظيم ، فينظر الى الازمات وقد خلت من الملابسات الآدمية ، فيشعر براحة كبرى ، تشابه الراحة التي يشعر بها الشاعر حين يتم قصيدة رائعة بعد جهد شديد ، او الرسام بعد اتمام صورة خالدة . ان الجمال الذي يطالعنا في هذه او تلك هو المرهم الذي يضعه الراحم المطلق فوق قلب المثقف او الفنان .

ان المثقف لا يغترف من نهر المعرفة لان المعرفة جزء من الحياة بل لان الثقافة الحقة هي في قراءة الكتب الخالدة وادمان التأمل فيها، حتى يصبح القارىء « كاتباً خالقاً » ، اي انه يصبح كاتباً عظيماً ولو لم يخط حرفاً واحداً ، وهي ايضاً في الاندماج بالاحياء واستيعاب كل التفاصيل التي تمر بالغافل او النصف متعلم بغير ان يلقي بالاً اليها ! وحسبك ان تقرأ كاتباً مثل والتر باتر ، او مارسيل بروست حتى تتبين لك هذه « الاحاطة » التي يتميز بها المثقف ثقافة حقيقية او العبقري النابغة . وليكن واضحاً ان المثقف او الفنان رجل « ملتقط » اي انه يلتقط من دولاب الزمن الدائر ما يحبسه في اطار يعطيه اسماً ويرفعه فوق قاعدة ، حتى ينطبق علية ما يسميه كيتس « حابس الهواء » اي الذي يلتقط من الهواء الدرر التي لا يراها الا هو فيقبض عليها بيديه فيحبسها . .

واخيراً كم عندنا في مصر من المثقفين ؟ ؟

عن جريدة « النداء » المصرية

- بقية المنشور في صفحة ٧ -

فلما توافقنا وسلّمت اشرقت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

ونسمع من ابن جبير الرحالة الشهير احاديث عن مجالس علم في القرن الثاني عشر اشتركت فيها المرأة بحضوره .

على ان الحياة الثقافية ، وان استأثرت بجهود المرأة الاكبر في عصور شتى فانها لم تحل بينها وبين الاشتراك بالاعمال الاجتماعية والعمرانية فأسست المدارس ودور الصوفية والمستشفيات وما الى ذلك من المنشآت العامة في امهات المدن العربية الكبرى كالقاهرة ودمشق وبغداد والقدس . وساهمت بادارتها احياناً ، وقد تكتفي بحضور الافتتاح كما فعلت اخت صلاح الدين بالمدرسة التي انشأتها في دمشق . ولا بد لنا من ذكر أمر خاص ببلدتنا هذه ، فان السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد هي التي جرّت مياه نبع العرعار الى بيروت ولا تزال بعض الاقنية والقناطر تعرف باسمها الى اليوم . واذا لم نرجع الا الى النعيمي والحنبلي والمقريزي لوجدنا العشرات من هذه المنشآت تحمل اسماءهن وتبين اغراضهن ، فلا حاجة بي الى ذكر الاسماء او التطويل الذي اخشى ان يثقل عليكم .

اما الطب والتمريض فان المصادر العربية تشير الى عدد من الطبيبات والى اشتراك المرأة بفن التمريض في المستشفيات منذ القرن العاشر .

ولا يتسع المقام في هذا الحديث القصير الى استعراض مشاركة المرأة في الحكم الفعلي والامارة العامة وانما اقتصر على بعض امثلة تثبت ان المرأة التي سبق وأشرت في بدء حديثي الى مساهمتها في سياسة الدولة ما زالت تداوم هذه المساهمة . فهذه ست الملك اخت الحاكم بامر الله تدبر شؤون الملك اربع سنوات في القرن الحادي عشر .

وهذه فاطمه الفقيهة ابنة علاء الدين من نساء القرن الثاني عشر كانت تعاصر السلطان نور الدين وكانت مستشارة له في امور الدولة .

ومن لا يعرف شجرة الدرّ من نساء القرن الثالث عشر التي بلغت الذروة في الحكم فخطب لها على المنابر وصُكت النقود باسمها .

اما السيدة جوبان من نساء القرن الرابع عشر فلم يرضها ما كانت تتمتع به من كلمة نافذة وتصرّف بشؤون الدولة كما تشاء بل انها تنشد المظاهر فتركب في حفل من النساء وتشد السيف الى وسطها .

ولم تكتفِ السيدة دلشاد من نساء القرن الرابع عشر بما كانت تتمتع به من نفوذ في العراق تصرّف به الشؤون الادارية بل كان لها في كل منطقة من مناطق الدولة نائب يأتمر بأمرها .

وملكت السيدة تندو مقاطعة في فارس والعراق واستقلت

في المملكة وكان من توابعها الجزيرة وواسط فيدعى لهـا على المنابر وتضرب السكة باسمها .

هذه لمحة خاطفة عن مساهمة المرأة في الحياة العربية العامة قصدت منها اعطاء فكرة شاملة عن التقليد الذي سارت عليه منذ تكوين الملك العربي وتقبل المجتمع العربي لكل ما لعبته من ادوار .

ولكن الدولة العربية في بغداد والملك العربي زالا في القرن الثالث عشر يوم داهم التتار بغداد فشلت الحركة الفكرية والحركة الاجتماعية وبالتالي حركة مساهمة المرأة في كليهما فان مما لا ريب فيه ان نهضتها كانت لابد ان تساير نهضة الامة صعوداً وهبوطاً في كل ادوار تاريخها .

وصحيح ان الملك العربي انتقل بعد ذلك الى مصر والشام وظل حتى القرن السادس عشر فاستمرت مساهمة المرأة فيه كما رأينا ولكن هذه الحركة خمدت في القرنين السابع عشر والثامن عشر ولم تعد الى الظهور الا اثر حملة نابليون في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر فكان في ذلك بدء النهضة الحديثة .

واستميحكم ان أقف هنا قليلاً لاستجلي بزوغ عهد جديد للبلاد العربية ونصيب المرأة منه ومساهمتها فيه ، اذ ان من المعلوم ان الدولة العثمانية كانت آخذة في الضعف والانحلال حينما جرّد نابليون حملته على الشرق فاكتسح مصر وفلسطين وعاد متراجعاً عن اسوار عكا ، ولكن حملته هذه رجّت الشرق رجة عنيفة ، وتركت اثراً عظيماً في التنبه واليقظة . وما لبث ان ظهر محمد علي الكبير في مصر وابنه ابراهيم وجردا حملتهما على سائر البلاد العربية ، وكادا يدخلان الاستانة . فهزت هذه الحملة الدولة العثمانية هزة اخرى ، وحملت معها كالحملة السابقة آراء جديدة واساليب جديدة في الحكم والادارة ومعالجة الشئون العامة فكان من ذلك ان تنبه السلطان عبد المجيد وأصدر لائحة الاصلاح الشهيرة سنة ١٨٣٩ التي نظمت بموجبها الدولة تنظيماً ادارياً جديداً . واعلن فيها التساوي التام بين جميع عناصر الدولة . فكان من البديهي ان يصيب المرأة نصيب قيم من هذه اليقظة فقد اخذت الدولة بفتح المدارس الابتدائية الرسمية وبينها مدارس البنات في الولايات والمتصرفيات والاقضية والمديريات . وكان محمد علي الكبير قد ضمّن اصلاحاته تأسيس مدارس للبنات في مصر ، كما اخذت الامم الغربية حوالي منتصف القرن التاسع عشر تبدي اهتماماً خاصاً بشئون الشرق الادنى . فتوالت وفود الجاليات الاجنبية التبشيرية ، وتنافست في فتح المدارس على نطاق واسع ، واخذت الطوائف والجماعات العربية بعد ذلك تحذو حذوها ، فبدأت الحياة الفكرية والنشاط الاجتماعي يدبان من جديد في هذا الجزء من العالم ، وظهرت المجلات والجرائد فارتفع للمرأة من جديد صوت بدأنا نسمعه هنا وهناك لامثال مريانا مراش السورية في الادب ، ووردة اليازجي اللبنانية في الشعر ، وعائشة التيمورية المصرية في الشعر والاجتماع ، وزينب فواز العاملية في التأليف الخ .

فكان المجتمع العربي يستقبل هذه الاصوات بالتكبير والتهليل . ثم اخذت الجمعيات النسوية تتكون وانصرفت جهود المرأة في الربع الاخير من القرن الماضي والسنوات الاولى من هذا القرن الى الاصلاح الاجتماعي ، فأسست المستشفيات والمستوصفات ومدارس البنات ودور الايتام ، وتزعمتهن ام المحسنين في مصر ، كما كانت إمامتهن في بيروت السيدة اميلي سرسق . وقد سنتا لمن جاء بعدهما سنة مثلى في العمل الصالح .

وكان من الطبيعي ان تنصرف المرأة في هذا الوقت الى الادب وعمل الخير دون السياسة نظراً لطبيعة الحكم المطلق الذي كان سائداً في ذلك العهد ، ولذا فإن بامكاننا ان نسمّي هذا الدور دور التنبه والاستعداد ، ولكننا لا ننسى ان الرجل والمجتمع العربي شجعا المرأة فيه اعظم تشجيع وتميز بذلك قاسم امين الذي جاهر بآراء صريحة ونادى بجرأة نادرة الى تحرير المرأة مما كان قد علق بها من آثار عصور الجمود والركود ، ودعاها الى استعادة حقوقها واسترجاع مقامها في الحياة العامة .

ثم وقعت الحرب الكبرى واحدثت تغييراً اساسياً في التشكيلات السياسية في هذا الجزء من العالم واتصل العرب بالغرب اتصالاً مباشراً واخذت الشعوب العربية تطالب باستقلالها تمشياً على مبادىء الديمقراطية وتقرير المصير ، فكان للمرأة نصيب كبير من المساهمة في الحركة الوطنية هذه . وانصرفت خلال فترة من الزمن في مصر وفلسطين وسوريا والعراق ولبنان الى الشئون الوطنية ، فخرجت الى الشوارع وقادت المظاهرات فسجلت غضبة النضال الوطني في أروع مظاهرها . ولم تذكر عن حقوقها الخاصة شيئاً وتجاهلت المؤتمرات النسوية التي كانت تعقد في بلاد الغرب مطالبة بحقوق المرأة وانغمرت مع الرجل في ميدان السعي لتحطيم قيود لا تكبلها وحدها بل تغل الامة بأسرها ، ولم يكن بوسعها وهي ترى بلادها تُستغل سياسياً واقتصادياً الا ان تولي وجهها شطر هذه الناحية الوطنية قبل غيرها .

على انها اخذت في الوقت ذاته تقبل على العلم اقبالاً منقطع النظير ، فازدحمت مدارس البنات بالطالبات ولم تتوانَ جامعة من الجامعات في مصر وبغداد ودمشق وبيروت عن فتح ابوابها لهن فولجنها بالمئات

بل بالالوف فاصبح بيننا الطبيبات والمحاميات والمهندسات والصحافيات والاستاذات وغيرهن من خريجات الجامعات، فتشعبت الجهود الاجتماعية وتضاعفت الجمعيات النسوية في كل البلاد العربية وتعددت اهدافها وتباينت مراميها. وهذا اذا دل على شيء، فانما يدل على مدى الحيوية الفعالة وعلى الخطوات القوية التي تسرع بها دائماً الى الامام.

ولن اذكر من المعاصرات احداً وفيهن العدد العديد من اللواتي يعتز المجتمع اليوم بمساهمتهن فيه فان هذا ليس من شأني الآن بل هو من شأن التاريخ، واذا اعوزني الدليل فانني اكتفي بذكر المرحومة هدى هانم شعراوي التي حملت مشعل النهضة النسائية الحديثة في جميع ميادينها فقادت الحركة الوطنية كما قادت الحركة السياسية، وتزعمت الميدان الاجتماعي تزعمها لميدان البر والاحسان.

وبعد، فان المرأة العربية التي ساهمت كل هذه المساهمة في بناء هذا المجتمع. هذه المرأة التي تحمل هذا السجل الضخم من الاشتراك في جميع نواحي النشاط قد اثبتت اثباتاً قاطعاً بانه ليس هنالك في اصول الشريعة او التقاليد او السوابق الا ما يدعم الحجة ويقيم البرهان على عدم وجود اي عائق يعيق مشاركتها للرجل في جميع وجهات الحياة في السياسة والحكم والارادة، وفي المهن والجامعات والحياة الحرة. ولئن كان هناك بعض المستنكرين لمساهمة المرأة بهذا المقدار، او كانت هنالك بعض الاوضاع الخاصة الناشئة عن الجمود الذي استولى على الشرق من بقايا عصور الركود، او استئثار بعض ذوي السلطة الذين يسيطرون الآن على التشريع فانني لا احسب ان هنالك من يستطيع ان ينكر عليها حقوقها الكاملة وكفاءتها في جميع الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية.

نحن لا ننكر ان المرأة العربية تعالج الآن مشاكل كبرى تحتاج الى جهود انشائية مستمرة في تعميم التعليم – في القرى خاصة – وفي رفع مستوى معيشة طبقة العمال، ومحاربة الامراض المتوطنة، والحد من وفيات الاطفال، وما الى ذلك؟ ولكننا نعتقد بان هذا ينبغي ان لا يكون حائلاً دون تمتع المرأة بكامل حقوقها السياسية سواء اكان ذلك في الادارة العامة والحكم ام في الانتخاب للمجالس الوطنية المحلية منها والنيابية.

واذا كانت الديمقراطية تساوي بين الموظفين رجالاً ونساء في الحقوق والواجبات، فان الناس يختلفون في قواهم وقابلياتهم وامكانياتهم ولذا فان المساواة المطلقة لا وجود لها في الواقع. وانما ترمي الديمقراطية كما تفهمها ارقى الشعوب اليوم الى تساوي المواطنين في الفرص التي تمنحهم اياها قوانين المجتمع كلاً بحسب مؤهلاته وكفاياته ومقدرته.

فالديمقراطية مثلاً لا تدعو جميع الناس الى دفع ضرائب متساوية بل تدعوهم الى ان يدفع كل فرد لخزينة الدولة حسب مقدرته.

كما انها لا تضمن في الواقع لجميع الموظفين تعليماً جامعياً بغض النظر عن امكانياتهم، فان هذا امر يستحيل تحقيقه، ولكنها تفتح ابواب الجامعات امام الجميع على السواء فيدخلها كل ذي اهلية رجلاً كان او امرأة غنياً او فقيراً.

وعلى هذا المبدأ فاننا اذا طالبنا بان تشترك المرأة بالحقوق السياسية فليس معنى هذا انصراف النساء جميعاً الى السياسيات وترك الشؤون الاخرى. كما ان حقوق الرجل السياسية ليس معناها بالضرورة ان يهمل كل رجل عمله او مهنته او تجارته وينصرف الى السياسة. بل معناه ان المجتمع يمنح كل ذي كفاءة من رجال ونساء حق النيابة عن بقية الامة تمشياً على قاعدة انصراف كل فرد الى ما تؤهله له مزاياه وامكانياته.

واخيراً فان المرأة العربية التي خط لها التاريخ ميداناً ثميناً من الثقافة والتقليد والتربية الروحية الرفيعة تستطيع اليوم ان تقتبس من الغرب الشيء الكثير من وسائل المدنية، واصول التنظيم، وطرق البحث والاستقصاء العلمي الناشئين عن تقدم العلوم في الغرب. واحسب دون مغالاة او ادعاء ان المرأة الغربية – وهي تعيش الآن في عالم صاخب قلق تسيطر عليه المادة وتدعمه القوة وكلمته المطاعة هي النار والحديد – هي الاخرى تستطيع ان تأخذ من الثقافة الشرقية المتمثلة بالاخص بالفلسفة والتصوف، والادب المثالي، والمبادىء الدينية السامية التي انبعثت من هذا الشرق والتي تضع القيم الروحية في المقام الاسمى.

ونرجو ان يكون في مثل هذه المبادلات الثقافية وفي مثل هذه المؤتمرات والاجتماعات وما سهلته المدنية الحديثة من وسائل النقل، وتيسير سبل العلم، ونشر الثقافة ما يساعد على التآخي بين الشعوب والاحترام المتبادل وتفهم وجهات نظر الآخرين بحيث يدرك الجميع ان نقاط التشابه بين الامم اكثر من نقاط الاختلاف.

ترى هل توفق المرأة اذا اجتمعت الصفوة المختارة من نساء الشرق والغرب كما نراها الآن لاكثر مما وفق الرجل فتصل بنا الى غاية تقرب بين الامم، وتلطف من حدة المادة، والقوة، والطغيان، وتضع حداً لسياسة التفوق العنصري وسياسة الجشع والاستئثار والاستعباد ؟؟؟ انا لذلك منتظرون وبه آملون!؟

عنبرة سلام الخالدي



٢٥ آذار سنة ١٩٤٩ – تحشد السلطات الروسية دباباتها في سكسوني وتعيد فتح المطارات الالمانية القديمة استعداداً لقيام القوات السوفياتية بمناورات كبيرة في شرقي المانيا هذا الربيع .

– وقع الرئيس ترومن اعتماداً بـ ١٦ مليون دولار لمساعدة اللاجئين .

٢٦ – اغلقت روسيا مفوضياتها في ايران وامرت قناصلها بالانسحاب من ايران كما طلبت الى قناصل ايران بمغادرة بلادها .

– طلبت مصر في اجتماع بيروت وصاية الجامعة العربية على دولة عربية في فلسطين وتقدم لها الجامعة المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية .

٢٨ – وافقت ايطاليا على الانضمام للحلف الاطلنطي .

– ذكر في وشنطن ان اميركا تؤيد الوصاية على الصومال الايطالي ، ولكنه يعتقد ان شعبي ارتيريا وبرقة سيعترضان على عودة الحكم الايطالي .

– انتهت انتخابات مجالس المقاطعات في فرنسا بفوز احزاب الحكومة الائتلافية .

٢٩ – اعلنت الولايات المتحدة انها سلمت العتاد الحربي لايران .

– وافق وفد المفاوضات الاردني واليهودي على مسودة اتفاقية الهدنة الدائمة .

٣٠ – حدث انقلاب عسكري خطير في سوريا اذ استولى الجيش السوري على مقاليد الحكم بعد ان اعتقل رئيس الجمهورية واركان الحكومة . وقد صرح حسني الزعيم القائد العام للجيش السوري بان هذه الحركة داخلية بحت ولا علاقة لدولة اجنبية او عربية بها .

٣١ – ارسل الزعيم حسني الزعيم رسالة الى المستر تربغفي يقول فيها ان السلطات المسؤولة الآن ستقوم بكل التعهدات الدولية التي ارتبطت بها الحكومات السورية المتعاقبة .

١ نيسان – هبط السيدان جمال بابان مندوباً عن حكومة العراق ، وعبدالله التل مندوباً عن شرقي الاردن العاصمة السورية واجتمعا بالزعيم حسني الزعيم .

– اصدر الزعيم حسني الزعيم مرسوماً بحل المجلس النيابي .

٢ – صرح المستر تشرشل لدى عودته لانكلترا من اميركا بان اعز رغبة لبريطانيا ان تكون صديقة الشعب الروسي ولكن من المستحيل التقرب منه .

– اقترح بعض اعضاء الكونغرس مجدداً اجتماع ترومان وستالين .

٣ – جرى في واشنطن باحتفالات كبيرة التوقيع على الحلف الاطلنطي وقد وقعه اثنتا عشرة دولة .

٥ – بدأت المفاوضات السورية الاسرائيلية للاتفاق على هدنة دائمة في فلسطين .

– بدأ مجلس الشيوخ الاميركي بدراسة ميثاق الاطلنطي للموافقة عليه .

٦ – تكلم الجنرال عمر برادلي منوهاً بفضل ميثاق الاطلنطي قائلاً ان اهمية الحلف لسلامة الولايات المتحدة تعادل اهمية امتلاك القنبلة الذرية . كما ان ارسال السلاح لاوروبا ضروري جداً لنجاح الحلف .

٧ – قدم السيد شكري القوتلي استقالته من رئاسة الجمهورية الى الشعب السوري وكذلك فعل رئيس الوزراء خالد العظم .

– تألفت في سوريا اللجنة المكلفة بتعديل الدستور ووضع قانون الانتخابات الجديد . وقد صرح الزعيم حسني الزعيم ان المرأة ستمنح حق الانتخاب .

٨ – اتفقت بريطانيا واميركا وفرنسا بانهاء الحكم العسكري في المانيا الغربية والسماح للشعب الالماني بممارسة الحكم الذاتي الديمقراطي .

– اصدرت حكومة البانيا بياناً ادعت فيه ان قوات الحكومة اليونانية تقوم باعمال استفزازية على الحدود الالبانية .

٩ – وجدت محكمة العدل الدولية ان البانيا مذنبة بسبب بثها الالغام في مضيق كورفو عام ١٩٤٦ وما نتج عنه من تدمير مدمرتين بريطانيتين .

– تكلم المرشال تيتو متهماً الكومنفرم بمحاولة اثارة حرب اهلية بيوغوسلافيا .

١١ – اكتشفت في اليونان مؤامرة شيوعية لاغتيال كبار رجال السياسة والجيش .

– صرح جواهر لال نهرو بان الهند لن تدخل الحرب لانه ليس من صالحها ان تنقاد الى الحروب في الوقت الحاضر .

١٢ – صرح الزعيم حسني الزعيم بانه يعتبر السيد جميل مردم المسؤول الاول عن سيئات العهد الماضي .

– اعلن وقف اطلاق النار في الصين .

١٣ – امر الزعيم حسني الزعيم المصارف بحجز اموال القوتلي وابنه ومقتنيات جميل مردم .

– احالت الجمعية العمومية طلب اسرائيل بالانتساب لهيئة الامم المتحدة على اللجنة السياسية .

– رفضت بريطانيا احتجاج روسيا على حلف الاطلسي .

١٥ – اذاع قداسة البابا رسالة بمناسبة الجمعة الحزينة طلب فيها وضع القدس وضواحيها تحت الاشراف الدولي .

١٦ – الف الزعيم حسني الزعيم الوزارة السورية بنفسه .

١٧ – وصل عزام باشا الى العاصمة السورية واختلى فور وصوله بالزعيم .

– انفصلت ايرلندا عن دول الكومنولث البريطاني واعلنت فيها الجمهورية .

١٩ – رفضت حكومة الصين الوطنية شروط الشيوعيين لعقد الصلح .

– خطب الرئيس ترومان فقال : ان تعزيز التسلح الاميركي يضمن السلام العالمي .

– طالبت مصر في الجمعية العمومية لهيئة الامم باستقلال ليبيا او وضعها تحت الوصاية كوحدة تامة دون ان يفصل بالارادة بين برقة وطرابلس وفزان .

٢٠ – حمل المندوبان السعودي والعراقي في اللجنة السياسية لهيئة الامم على الاستعمار الايطالي بليبيا ، وطالبا بمنحها الاستقلال التام او وضعها تحت الوصاية الدولية دون تجزئتها .

– عاد القتال مجدداً بين القوات الوطنية والشيوعية في الصين .

٢١ – سافر الزعيم حسني الزعيم الى القاهرة وقابل جلالة الملك فاروق وعاد مساء الى دمشق .

٢٢ – افتتح في لندن مؤتمر رابطة الشعوب البريطانية .

٢٣ – اعترفت مصر والمملكة العربية السعودية ولبنان بحكومة الانقلاب في سوريا .

٢٤ – سقطت نانكين العاصمة الصينية في ايدي الشيوعيين .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٣